جامعة عبد الرحمان ميرة –بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والآداب العربي

عنوان المذكرة:

إشكالية المصطلح الحجاجي في اللغة العربية
كتاب: الحجاج: مفهومه ومجالاته لحافظ إسماعيلي علوي
-أنموذجا-

مذكرة مقدمة للاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبتين:

موحوس ساره
قندي مريم

إشراف الأستاذ

محمد الزين جيلي

السنة الجامعية: 2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

قال اللّه تعالى:

«ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلما تحاجون فيما ليس لكم به علم و اللّه يعلم و أنتم لا تعلمون»

[آل عمران-66-]

شكر و تقدير

أوّل من يشكر و يحمد أثناء الليل و النهار، هو العليّ القهّار، الأوّل و الآخر ، الظاهر و الباطن، الذي أغرقنا بنعمه التي لا تحصى، و أغدق علينا برزقه الذي لا يفنى، و أنار دروبنا، فله جزيل الحمد و الثناء العظيم، هو الذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده و رسوله محمّد عليه أزكى الصلوات و أطهر التسليم، أرسله بقرآنه المبين، فعلّمنا ما لم نعلم وحثّنا على طلب العلم أينما وجد.

للّه الحمد و الشكر كلّه أن وفّقنا و ألهمنا الصبر على المشاق الذي واجهنا أثناء هذا العمل المتواضع.

و الشكر موصول إلى كلّ معلّم أفادنا بعلمه، من أولى المراحل الدراسية حتّى هذه اللّحظة كما نرفع كلمة شكر إلى الأستاذ المشرف جيلي محمّد الزين الذي ساعدنا على انجاز هذا البحث.

كما نشكر كلّ من مدّ لنا يدّ العون من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى كلّ من أضاء بعلمه عقل غيره

أو أهدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه

فأظهر بسماحته تواضع العلماء و برحابته سماحة العارفين

أهدي هذا العمل المتواضع إلى :

من ظلّ سندي الموالي

و حمل همّي غير مبالي: والدي العزيز

إلى من شغلت البال فكرا

ورفعت الأيادي دعاءا: أمّي الغالية

إلى إخوتي: ماسين، فريال، فهيمة

كما أهديه إلى كلّ من حفظته ذاكرتي و لم يخطه قلمي، راجية من المولى عزّ و جلّ

أن يجد القبول و النجاح.

ساره

إهداء

إلى من كان دعائها سرّ نجاحي وعطفها بلسم جراحي إلى أغلى الناس عندي والدتي الحبيبة.

إلى من أحمل إسمه بكل افتخار إلى صاحب القلب الكبير والدي العزيز.

إلى رياحين حياتي أخواتي، سارة، فاطمة و صافية.

إلى أخي إبراهيم.

إلى كل أقاربي والمحبين لي خاصة خالاتي... إلى بنات خالتي أمينة وآسية.

إلى كل صديقاتي الغاليات ... إلى زميلتي في العمل ساره, إلى أعز صديق لي سفيان.

إلى أستاذي المشرف جيلي محمد الزين.

إلى كل من ساعدني وشجعني من قريب أو من بعيد.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

مريم

مقدّمة

يكتسي الخطاب أهميّة كبيرة قديما و حديثا، و قد تعدّدت أوجهه بين ما هو شفوي و ما هو مكتوب، الخطاب الحجاجي موظّف فيهما باستمرار و هو الركيزة الأساسية في إيصال الأفكار و تحقيق المقاصد بين المتكلّم و المتلقّي، حيث نجده يتضمّن كلّ وسائل الإثارة والإقناع و التحاور لاسيما في القرآن الكريم و في الخطابات السياسية، القضائية وغيرها...الخ. فهو كما نرى موضوع متشعّب الروافد، فلا يمكن لأيّ مخاطب سواء كان شاعرا أو ناثرا أن يستغني عن هذا الأسلوب الذي يهدف إللى استمالة المتلقّي و استهوائه وهذا الأمر لا يكمن فقط في المجال الأدبي، إنّما نجده أيضا في حياتنا اليومية التي تبنى كليّا على الأدلّة و الحجج أثناء التواصل و هذا المصطلح له جذور عريقة في التاريخ، إذ أنّ أوّل ظهور له كان في البلاغة اليونانية عند السفسطائيين و أفلاطون و أرسطو منبعا لكلّ الدراسات التي تليها، ثمّ ظهر في الدراسات المعاصرة مثل بيرلمان في أبحاثه التي سمّاها "البلاغة الجديدة" نظرا لحداثة الأبعاد التي تهتم بها إلى جانبه ديكرو، أنسكومبر....الخ.

قد انتبه العرب إلى هذا النمط الخطابي من خلال مصنّفاتهم و دراساتهم التطبيقية ، كما يتجلّى ذلك في كتب العقائد و الأصول و في الشروح و التفاسير و في الخطب والمناظرات.

أمّا عن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع فيمكن إجمالها فيما يلي:

-قلّة الدراسات المتعلّقة بالحجاج.

-أهميّة الحجاج كونه موظّف في جميع أنواع الخطاب.

-الرغبة في التعرّف على أهمّ المصطلحات الحجاجية.

-محاولة التعريف بالنظريات الحجاجية.

و من ثمّة رأينا جدوى دراسة هذا التراث للكشف عن إشكالية المصطلحات الحجاجية فجاء موضوع بحثنا "إشكالية المصطلح الحجاجي في اللّغة العربية(الحجاج مفهومه و مجالاته أنموذجا)، و كان علينا التساؤل من البداية عن وضعية المصطلح بصفة عامّة و وضعيّة المصطلح الحجاجي بصفة خاصّة.

و هذه الإشكالية بتفرّعها شكّلت هيكل البحث و خطّته، حيث ابتدئنا بمقدّمة ثمّ تلاها فصلان نظريان و فصل تطبيقي و خاتمة.

خصّصنا الفصل الأوّل الذي يحمل عنوان" قضايا المصطلح في اللّغة العربية" للحديث عن مفهوم المصطلح لغة و اصطلاحا مع ذكر سماته ثمّ تطرّقنا إلى شروط و طرق وضع المصطلح من اشتقاق ونحت وتركيب ومجاز وتعريب وترجمة و من ثمّة تناولنا المصطلح اللّساني و وضعيته سواء عند العرب أو الغرب.

أمّا في الفصل الثاني الذي عنوناه بالمسار التاريخي للحجاج عند الغرب و العرب قديما و حديثا، حيث حاولنا فيه الوقوف على تقصّي مصطلح "الحجاج" انطلاقا من الحضارة اليونانية وصولا إلى الحضارة العربية، ثمّ نظرة المحدثين لهذا المصطلح.

في الفصل الثالث الذي عنوانه "دراسة تحليلية للمصطلحات الحجاجية"، جعلناه فصلا تطبيقيا حيث تطرّقنا إلى تحليل بعض المصطلحات الحجاجية الواردة في كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته لحافظ إسماعيلي علوي.

أخيرا تناولنا في الخاتمة، استخراج بعض النتائج التي توصّلنا إليها من خلال هذا البحث.

قد كانت دعامة البحث عدد من المصادر و المراجع شكلت معينا لا ينضبّ لإغناء مادته و توضيح غامضه و تسهيل وعره، و لعلّ من أهمّها:"أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" لفريق البحث في البلاغة و الحجاج، إشراف حمادي صمود

، "الحجاج في القرآن الكريم" لعبد الله صولة، "التداولية و الحجاج مداخل و نصوص" لصابر الحباشة، "الحجاج مفهومه و مجلاته، دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة لحافظ إسماعيلي علوي، "اللّسان و الميزان أو التكوثر العقلي" لطه عبد الرحمن.

أثرنا أن نتّبع منهجا يزاوج بين الوصف و التحليل مع اللجوء أحيانا إلى التفسير و التعليل.

قد واجهتنا مجموعة من الصعوبات منها: قلّة المراجع المتخصّصة، الاختلاف والتباين في المصطلحات من باحث لأخر، و عدم الاتّفاق على رؤية واحدة و هذا راجع إلى اختلاف الترجمات، إلى غير ذلك ممّا يقلّ في درجة الأهميّة و من الممكن تجاوزه، والتغلّب عليه، فلا نجد داع إلى ذكره.

يعود الفضل الكبير في إنجاز هذا البحث لمن جعلناه سندا لنا و سألناه فأعطانا إلى ربّنا منير دربنا، ثمّ إلى الأستاذ المشرف الذي يسرّ علينا بعض ما تعسّر بملاحظاته وتوجيهاته القيمة الخوض في هذا البحث الصعب، فله كلّ الامتنان و التقدير.

الفصل الأول:

قضايا المصطلح في اللّغة العربيّة

أوّلا_تعريف المصطلح و سماته.

ثانيا_شروط وطرق وضع المصطلح.

ثالثا_المصطلح اللّساني ووضعيّته.

لقد اهتم الدارسون والباحثون اهتماما كبيرا بالمصطلح، وبأثره في تحصيل العلوم ولاسيما بعد توليد علوم جديدة وظهور عدّة تخصصات لاندماج وترابط أنواع المعارف والتكنولوجيات المختلفة.

يعدّ المصطلح الركيزة الأساسية التي يتأسّس عليها العلم، وتتحدَّد بذلك معالمه ويكتسب شرعيته، فليس هناك علم بدون مصطلح ولهذا السبب أولى العلماء بمختلف مشاريعهم عناية فائقة بالمصطلح لاعتباره مفتاح العلوم، يقول المسدّي: « إنَّ مفاتيح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميّز كل واحد منها عمّا سواه، وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية»[1]. وأمام هذا الوضع ظهرت عدّة تعريفات للمصطلح وفي بحثنا هذا سنتطرّق إلى تعريف المصطلح لغة واصطلاحا، مع ذكر سماته ثم سنتناول شروط وآليات وضع المصطلح في اللغة العربية.

[1]. عبد السلام المسدّي، "علم المصطلح العربي" ، العدد 5 ، المطبعة العصرية، تونس، 1983، ص 17 .

أولا: تعريف المصطلح وسماته:

1_1_ لغة:

بداية لابدّ من تحديد معنى « المصطلح » وهو مصدر ميمي للفعل اصطلح، وقد يكون اسم مفعول لذات الفعل على تقدير متعلّق محذوف أي « مصطلح عليه ». وقد تعدّد مدلوله في المعاجم العربية في باب مادّة (صلح) التي وردت بمعنى التصالح والتسالم أي ضدّ الفساد على نحو ما كان في معجم العلم: « الصّلاح نقيض الطّلاح ورجل صالح في نفسه ومصلح في أعماله وأموره »[1].وفي لسان العرب لابن المنظور: « صلح الصّلاح: ضدّ الفساد، صلح، يصلح ويصلح صلاحا وصلوحا والمصلحة الصّلاح، وفي الاصطلاح: نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه...»[2].

ومن خلال تتبّع هذا اللفظ في كتب التراث نلمس أنّه يغلب على العلماء عدم تفريق بين كلمتي « مصطلح » و« اصطلاح »، وأن هاتين الكلمتين لم تردا بالمعنى المتعارف عليه اليوم.

وعند اللغويين الغربيين نجد مقابل كلمة مصطلح «terme» في اللغة الفرنسية و«term » في اللغة الإنجليزية والأصل فيهما مأخوذ من اللاتينية«terminus» بمعنى الحد (ما يحدّ) أو الشيء النهاية أو بمعنى الكلمة أو العبارة[3].

1_2_ اصطلاحا:

المصطلح هو لفظ يطلق على مفهوم معين للدّلالة عليه عن طريق الاصطلاح (الاتّفاق) بين جماعة لغوية على تلك الدلالة المرادة التي تربط بين اللفظ (دال) والمفهوم (المدلول) ومثال ذلك اتفاقهم على تسمية شكل « شجرة » بهذا الاصطلاح، ويمكن أن

[1]– الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، تح مهدي المخزون و ابراهيم السامرائي، ج 3، ط1، مؤسسة الإعلامي، بيروت– لبنان، 1988، ص117.

[2]– أبي الفضل جمال الدين محمد ابن المكرم ابن منظور، لسان اللّسان تهذيب لسان العرب، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1993، ص31.

[3]– الياس قويسم، المصطلح و الاصطلاح، مقاربة نظرية.

تتواضع الجماعة اللغوية على نسبة أصوات جديدة لهذا المفهوم شرط الاتفاق عليه، وبهذا الصدد نجد مصطفى الشهابي يعرف المصطلح بقوله: « هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من معاني العلمية »[1].وهو عند محمّد حلمي هليل:«لفظ وافق عليه العلماء المختصّون في حقل من حقول المعرفة والتخصّص للدلالة على مفهوم علمي»[2].

و قد عرّف«الشريف الجرجاني» المصطلح في كتابه «التعريفات» على أنّه«عبارة عن اتّفاق قوم على تسمية الشيئ باسم ما ينقل عن موضعه الأول...وإخراج اللّفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما...واتّفاق طائفة على وضع اللّفظ بإزاء المعنى...وإخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد...ولفظ معيّن بين قوم معيّنين»[3].

يتّضح من خلال هذا التعريف أنّ للمصطلح سيماتان أساسيتان هما:تتمثّل الأولى في كون المصطلح يكون التواضع عليه،من طرف جماعة لغوية مختصّة في ذلك الحقل،والثانية تتجلّى في كونه يخرج من حيّز المعني اللّغوي الذي وضع له سابقا إلي معني آخر، وعليه فالمصطلح هو«الكلمة التي خصّصها الاستعمال في علم من العلوم، أو فنّ من الفنون، أو صناعة من الصناعات بمفهوم معيّن»[4].وشاع استعمالها بحيث صار التطابق يبنها و بين مدلولها أمرا مفروضا وضرورة لابدّ منها، فيتبيّن من خلال التعريف أنّ الكلمة تكون مصطلحا إذا ما خصّص استعمالها فأخرجت من دائرة الاستعمال اللّغوي العام إلى استعمال لغوي جديد خاص بعلم من العلوم، فمن أهمّ خصائص المصطلح ارتباطه بمجالات المعرفة و بالتّالي يتحدّد معني أو مفهوم المصطلح تبعا للمجال المعرفي الذي ينتمي إليه. فتقوم جماعة لغويّة مختصّة في حقل من الحقول المعرفية باختيار وانتقاء مجموعة من المفردات و تتواضع عليها مرّة أخرى، أي أنّ تلك المفردات موجودة سابقا، إلاّ أنّ

[1]– رشيد عزي، إشكالية المصطلح في المؤلفات العربية، تحليل الخطاب نموذجا،دراسة تحليلية نقدية، المركز الجامعي بالبويرة، 2008.

[2]–المرجع نفسه.

[3]–الشريف علي ابن محمّد ابن علي الجرجاني حنفي، التعريفات ، تح محمّد أبو علي أبو عبّاس،ط مكتبة القرآن، القاهرة، مصر، 2003، ص7.

[4]–سعود بن سعد بن نمر العتيبي، ضوابط قبول المصطلحات العقديّة و الفكريّة عند أهل السنّة و الجماعة، رسالة دكتوراه، جامعة أمّ القرى، ص30.

المختصّون يتّفقون على إعطائها مدلول جديد للتواصل فيما بينهم للتواصل،بحيث إذا ما ذكرت هذه الكلمة في دائرة ذلك المجال، لا يتبادر ألي الذهن، إلاّ ما كان من معناها الجديد العلمي المتواضع عليه.

أما محمود فهمي حجازي يرى أنّ جلّ المتخصّصين متّفقين على أنّ أفضل تعريف أوروبي للمصطلح يتمثّل في التعريف الآتي:«الكلمة الاصطلاحية مفهوم مفرد، أو عبارة مركّبة استقرّ معناها، أو بالأحرى استخدامها وحدّد في وضوح،هو تعبير خاص ضيّق في دلالته المتخصّصة، و واضح إلى أقصي درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللّغات الأخرى،ويرد دائما في سياق النّظام الخاص بمصطلحات فرع محدّد فيتحقّق بذلك وضوحه الضروري»[1].

يوضّح هذا التعريف أهميّة التحديد الدقيق لمعني المصطلح وأن يكون واضح الدلالة يفهمه القارئ بدون لبس، وأنّ هذا اللّفظ له دلالة خاصّة ومعني محدّد في المجال الذي ينتمي إليه،مع تقدير مسألة وجود مقابل للمصطلح بين اللّغات المتعدّدة و لعلّ ما جعل حجازي يفضّل هذا التعريف للمصطلح هو كونه يشمل علي عدّة سمات يتميّز بها المصطلح العلمي عن اللّفظ العام،لأنّ التعريف الفعلي و الدّقيق له يستدعي وجود السمات الواردة في هذا القول وهي:

1_1_يكون مفردا أو مركّبا:

إنّ التأكيد على أنّ المصطلح يرد مفردا أو في عبارة مركّبة، يدلّ على أنّ المصطلح قد يكون كلمة واحدة، و قد يتكوّن من عدد من الوحدات الدلاليّة، و هنا تجدر الإشارة إلى أنّه لا ينبغي أن يأتي على شكل عبارة طويلة، لكي لا يفقد أهم خصائصه، لذا يجب أن يكون «لفظا واحدا متّصلا بسيطا أو مركّبا لا جملة من الكلام»[2]. مثلا أن يكون تركيبة من صفة و موصوف، اسم موصول وصلته.....الخ.

[1]–محمود فهمي حجازي، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح ،ط1،دار غريب للطباعة و النشر،1995،ص11.

[2]–عبد الملك مرتاض،صناعة المصطلح في العربية، مجلّة اللّغة العربية.

1-2-تعبير خاصّ ضيّق في دلالته المتخصّصة:

يرى محمود فهمي حجازي أنّ المصطلح عبارة عن رمز لغوي متّفق عليه في مجال من مجالات المعرفة، فهو يوضّح شدّة ارتباط المفهوم أو المعنى بذلك المجال المتخصّص،فالمصطلح له سمة مميّزة كونه يحمل دلالة واحدة في مجال التخصّص رغم استخدامه في اللّغة العامّة.

1-3-يرد دائما في سياق النّظام الخاص بمصطلحات فرع محدّد:

يرد المصطلح مع مجموعة من المصطلحات المنتمية إلى فرع محدّد،في سياق نظام خاصّ ومعناه الدّقيق لا يتحقّق إلاّ وهي داخل النّظام الاصطلاحي القائم على العلاقات المشتركة بين مدلولات وحداته،وهذا ما ذهب إليه الطاهر ميلة بقوله:« إنّ المصطلحات العلميّة والتقنيّة هي مجموعة من العناصر اللّغوية،لكن وحدات هذه العناصر سواء أكانت كلمات أم مجموعة كلمات،تحدّد بالعلاقات المشتركة في مضمونها»[1].

تعدّ المصطلحات مفاتيح العلوم على حدّ تعبير الخوارزمي و قد قيل:«إنّ فهم المصطلحات نصف العلم» وذلك لأنّ المصطلح هو لفظ يعبّر عن مفهوم.....ومعرفة المصطلح ضرورة لازمة للمنهج العلمي.إذ لا يستقيم منهج إلاّ إذا بني على مصطلحات دقيقة، والجدير بالذكر هنا أنّ اللّسانيات علم يحوي على العديد من المصطلحات العلميّة الدقيقة، التي تعبّر عن أفكار مجرّدة، والجهل بمصطلحاته يؤدّي بالضرورة إلى عدم فهم هذا العلم، قال التهانوي:«إنّ لكلّ علم اصطلاحا خاصّا به، إذا لم يعلم بذلك لا يتيسّر للشارح الاهتداء إليه سبيلا، و لا إلى انفهامه دليلا»[2]. فالعلم مرتبط بالمصطلح ارتباطا وثيقا، فلا يمكن لأيّ علم أن يستغني عن المصطلح، فالعلاقة بينهما هي علاقة تكامل،فهما كوجهي العملة الواحدة لا يمكن الفصل بينهما، ولا وجود لأحدهما دون الآخر، إنّ فهم كلّ

[1]-طاهر ميلة، مصطلحات الرياضيات في التعليم المتوسط و الثانوي بالجزائر، رسالة ماجستير،معهد العلوم اللسانية و الصوتية، جامعة الجزائر،1985،ص30.

[2]-ناصر إبراهيم صالح النعيمي،المصطلح اللّغوي بين الواقع و الطموح، جامعة البلقاء التطبيقية،الأردن.

علـم مـن العلـوم قـديمها وحـديثها مرهـون بفهـم المصـطلحات الحاملـة النّاقلـة لأفكـاره وتصوّراته،وتعدّ اللّسانيات واحدة من تلك العلوم باعتبارها نافذة مفتوحة على العالم الغربي نطلّ من خلالها على إبداعاته.....[1].

[1]–بودرهم مريم، إشكالية المصطلح اللّساني في الكتابات العربية الحديثة، جامعة محمّد خيضر، بسكرة.

ثانيا:شروط وطرق وضع المصطلح

2-1-شروط وضع المصطلح:

عقد مكتب تنسيق التعريب في العربي سلسلة من الندوات في منهجية وضع المصطلحات، تصدّرتها ندوة "الرباط" سنة 1981 بعنوان "ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة" من أجل التحكّم في فوضى المصطلحات و القضاء على الاضطراب الذي يشوبها،الناتج عن عدم مراعاة منهجية علميّة دقيقة، فوضع العلماء مجموعة من المبادئ و الأسس في اختيار المصطلحات العلمية و وضعها أهمّها:

- وجود مشاركة أو مناسبة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللّغوي، لكن لا يشترط أن تكون تلك العلاقة قد وصلت إلى حدّ المطابقة بل يكتفي بأدناها[1].
- أن تكون واضحة دقيقة، موجزة، سهلة النّطق و ينبغي أن يبدأ دائما من المفهوم، أي الاهتمام يكون بالمعني قبل اللّفظ فيجب أن يخصّص لكلّ مفهوم (مدلول) مصطلح (دال) مختصّ و الحدّ،و ألا يلتبس هذا المصطلح بأيّ مصطلح آخر.
- تجنّب تعدّد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد.
- تجنّب الكلمات العامية، إلاّ عند الاقتضاء، بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة، وأن يشار إلى عاميتها، بأن توضع بين قوسين مثلا.
- تفضيل كلمة الواحدة المفردة على الكلمتين فأكثر عند وضع مصطلح جديد إن أمكن ذلك، لأنّها تساعد على تسهيل الاشتقاق و النسبة والإضافة والتثنية و الجمع.
- تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي تسمح به لكون اللّغة العربية لغة اشتقاقية.

[1]-عمّار ساسي، اللّسان العربي وقضايا العصر رؤية علميّة في:الفهم، المنهج، الخصائص، التعليم، التحليل،عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ص59.

- استقراء و إحياء التراث العربي و خاصّة ما استعمل منه، أو ما استقرّ منه من مصطلحات علميّة عربية صالحة للاستعمال الحديث[1].
- مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية و العالمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلم و الدارسين[2].
- لابدّ من تمثيل كلّ مفهوم أو شيئ بمصطلح مستقلّ،والنّأي عن الاشتراك اللّفظي الذي من شأنه أن يوقع في الخلط و اللّبس[3].
- لا بد من تضافر جهود المختصّين في العلم الذي تنتمي إليه المفاهيم أثناء البحث، قد عدّهم فيلبر (felber) المفاتيح الأولى للعمل المصطلحي، يساعدهم أعضاء الجمعيات العلمية و التقنية الوطنية و الدولية المختصّة، ثم يأتي بعدهم في الأهمية دور اللّغويين الذين يفضّل أن يكونوا مدرّبين في مجار علم المصطلح النظري و التطبيقي، و هؤلاء يمدون العلماء المختصين بمجموعة من المصطلحات و الصيغ التي يرونها مناسبة لاستخدامها رموزا للمفاهيم المقصودة[4].
- تجنّب الألفاظ التي ينفر الطبع منها، إمّا لثقلها على اللّسان، أو لفحش دلالتها،فيجب تفصيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة، إلاّ إذا التبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة.
- التعريب عند الحاجة، و خاصّة المصطلحات ذات الصيغة العالمية كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاّتيني، أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات.

وإذا اقتضت الحاجة إلى تعريب بعض المصطلحات الأجنبية يجب مراعاة الأمور الآتية:[5]

[1]–عمر أوكان، اللّغة و الخطاب، ص68.

[2]–المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3]–إيناس كمال الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، ط1، دار الوفاء، 2006، ص38.

[4]–علي التوفيق الحمد، المصطلح العربي،شروطه و توحيده، جامعة اليرموك،اربد–الأردن،ص5.

[5]–عمر اوكان، المرجع السابق، ص69.

1. ترجيح ما سهل نطقه في رسم الألفاظ المعرّبة عند اختلافها من حيث نطقها في اللّغات الأجنبيّة.
2. التصرّف في شكله حتّى يتناسب مع الصيغة العربية.
3. اعتبار المصطلح المعرّب عربيّا، يمكن فيه الاشتقاق و النّحت، مع ضبط المصطلحات العامّة و المعرّبة منها خاصّة بالشكل من أجل الحرص على النطق السليم.

2_2_شروط وضع المصطلح:

إنّ المصطلح أرقي ما تصل إليه اللّغة في تشكيل مفاتيح علومها،و التعبير عن مفاهيمها بطرق سليمة تجعل التفاهم ممكنا والتواصل سهلا ولكي تكون هذه الوظائف المصطلحيّة مفيدة لابدّ من الوقوف على كيفية تشكيل المصطلح و طرق صناعته أو توليده.

إنّ الطرق التي تتولّد بها المصطلحات لا تختلف كثيرا عن الطرائق المعروفة في اللّغة العامّة، يقول عبد السلام المسدّي:«من أهم الآليات التي تفرزها اللّغة لسدّ حاجيات مستعمليها عندما يواجهون المفاهيم المستحدثة آلية التوليد التي يصنّفها علماء اللّسان إلى توليد لفظي و توليد معنوي، وفي كلتا الحالتين تنبثق دلالة تشقّ طريقها بين الحقول المترسّخة في مصفوفات الخانات المخزونة أهل تلك اللّغة حتّى مستقرّها بين زوايا المنظومة القاموسية»[1].

يمكننا توليد المصطلح عن طريق آليات منها:

1. عن طريق الاشتقاق:

يعرّف الاشتقاق عند المحدثين بأنّه توليد وحدة غير موجودة انطلاقا من وحدة موجودة، و هو أمر لم يختلف فيه اللّغويّون القدامى أمثال السيوطي الذي يرى أنّ الاشتقاق هو«أخذ صيغة من أخرى مع اتّفاقهما معنى ومادّة أصليّة وهيئة تركيب،ليدلّ بالثانية على معني الأصل بزيادة مفيدة .....»[2].فالاشتقاق إذن هو أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى،وتغيير اللّفظ يضيف زيادة علي المعني الأصلي و هذه الزيادة هي سبب الاشتقاق، وذلك كأخذ كلمتي:عالم و معلوم من العلم، و يتّفق المشتق و المشتق منه في الأحرف الأصلية وترتيبها، وأفراد الاشتقاق عشرة وهي:الفعل الماضي، المضارع، الأمر ،واسم

[1]–المصطلح النقدي وآليات صياغته، علامات، مجلد2، 1993، ص56.

[2]–السيوطي،المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، ج1،تح فؤاد علي منصور،ط1، دار الكتب العلميّة، لبنان،1998، ص275.

الفاعل، و اسم المفعول، و الصفة المشبّهة، و اسم الزمان، و اسم المكان، واسم التفضيل ، واسم الدلالة[1].

لكون الاشتقاق هو توليد لبعض الألفاظ من بعض و الرجوع بها إلي أصل واحد يوحي بمعناها المشترك الأصيل و أيضا بمعناها الخاصّ الجديد، فهو يعتبر وسيلة من وسائل التوسّع الدّلالي التي تسمح بتوليد ألفاظ جديدة تعود إلي أصول ثلاثيّة (الصوامت) فهذا التقولب هو نطاق المادّة الوحدةّ.

فقد قسّم العلم الاشتقاق إلى قسمين:

- الاشتقاق الصغير ⟸الصيّغ المشتقّة.
- الاشتقاق الكبير ⟸التقاليب.

وهناك نوع آخر من الاشتقاق وهو الاشتقاق الكبّار، فالاشتقاق الكبير يشمل التقاليب التي ذكرها الخليل ابن أحمد الفراهيدي، أمّا الاشتقاق الكبّار هو ما اشتركت حروف جذره مع حروف جذر كلمة أخرى، ما عدا حرفا واحدا و مثال ذلك قسم و قصم، قد و قطّ،السدّ والصدّ، دقّ و شقّ....الخ[2]، وهذا ما ذكره أيضا ابن جنّي في كتابه الخصائص[3]. والغرض الأساسي من هذه الأنواع الثلاثة للاشتقاق هو إثراء اللّغة العربية و توليد قدر كبير من المصطلحات.

و ربّما أنّ الاشتقاق هو عمليّة استخراج لفظ من لفظ آخر أو صيغة من أخرى فإنّ«القياس هو الأساس الذي تبني عليه هذه العمليّة (....) كي يصبح المشتقّ مقبولا معترفا به بين علماء اللّغة»[4]. فالصلة إذن وثيقة بين الاشتقاق والقياس. و هذا يعني أنّ تكوين كلمات عربيّة جديدة للتعبير عن طريق القياس على الصيّغ الصّرفية التي عرفتها اللّغة العربية، فعلى سبيل المثال خصّص العلماء العرب صيغتين للدّلالة على المرض منذ

[1]–سعيد الأفغاني، أصول النحو، المكتب الاسلامي، بيروت، 1987، ص130 وما بعدها.

[2]–سمير شريف استيتيه، اللسانيات المجال و الوظيفة و المنهج، ط1، عالم الكتب، الأردن، 2005، ص105.

[3]–عثمان ابن جنّي، الخصائص، ج2، تح محمّد علي النجّار، دار الهدى، بيروت، ص161.

[4]–إبراهيم أنيس، من أسرار اللّغة، ط7،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة، 1994، ص8.

القدم و هما: "فعل" نحو أرق، وجع، شلل...الخ، و"فعال" نحو صداع و دوار...الخ، فهذه القابليّة للاشتقاق تضع في أيدي العاملين في حقل المصطلحات أداة فعّالة وتوفّر لهم إمكانات واسعة في صياغة الألفاظ للمدلولات العلميّة المتزايدة يوما بعد يوم»[1].

يتّضح من خلال ما سبق أنّ الاشتقاق ليس من خصائص اللّغة العربية فحسب بل إنّه من أهمّها و لاسيما لكثرة الأوزان العربية، هي عند السيوطي«ألف مثال ومئتا مثال وعشرة أمثلة»[2].

ونظرا لأهميّة الاشتقاق الكبيرة فقد حضي بعناية فائقة من قبل اللّغويون العرب الذين تصدّوا لدراسته، فأفردوا له في كتبهم مبحثا أو فصلا خاصّا به، ولكن الأمر قد يتجاوز ذلك في بعض الأحيان فيخصّص الكتاب كلّه لموضوع الاشتقاق[3].

فلا خلاف إذن في كون الاشتقاق أيسر و أفضل و أنجع وسيلة لوضع المصطلحات في اللّغة العربية.

[1]–جميل الملائكة، المصطلح العلمي و وحدة الفكر، ج3، مج34، مجلّة المجمع العلمي، العراق، بغداد، 1983، ص103.

[2]–السيوطي، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، ج2، تح فؤاد علي منصور،ص3.

[3]–من الكتب التي تحمل عنوان الاشتقاق نجد: ما قاله كلّ من فؤاد حنا ترزي، عبد الله أمين، ابن دريد، عبد القادر المغربي،(الاشتقاق و التعريب)، أنيس فريجة (الاشتقاق عملية خلق في اللّغة)...وغيرهم.

2.عن طريق التعريب:

يعرف التعريب بأنّه «صبغ كلمة بصيغة عربيّة عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللّغة العربيّة، و قد استعملت كلمة معرّبة بمعنى اللّفظ الأجنبي الذي غيّره العرب ليكون على منهاج كلامهم»[1].

يفهم من هذا التعريف أنّ التعريب هو نقل كلمة من لغة أجنبيّة أعجميّة إلى اللّغة العربيّة، أو هو نقل لفظ أجنبي إلى العربية بلفظه و معناه دون شكله المكتوب، أي بما يتوافق والنّسق الصوتي و الصرفي للّغة العربيّة. و هو عند البعض «إدخال اللّفظ الأجنبي بذاته و بمادّته إلي اللّغة العربية، و يصلح على تعميم استعماله ضمن مفردات اللّغة العربيّة»[2].

الملاحظ هنا هو أنّ التعريف الأوّل يختلف عن التعريف الثاني، فالأوّل خاصّ بالتعريب في كونه لا يكتفي بنقل اللّفظ الأجنبي إلى اللّغة العربيّة شكلا ومعني (دال،مدلول) فقط لابدّ من إحداث تغيير فيه حتّى يتوافق و النّسق الصوتي والصّرفي للّغة العربية؛ أي جعله يتماشى مع قواعد اللّغة العربيّة المرنة و ذلك حتى يشبه اللّفظ العربي الفصيح،في حين الثاني خاص بما يعرف "بالدّخيل" وما يبرّر هذا الذي نحن بصدد قوله هو تمييز القدماء بين المعرّب و الدّخيل حيث«أسموا الظّاهرة العامّة "دخيلا" و خصّصوا قولية اللّفظ الدّخيل بمصطلح "التعريب"، فقالو:«تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العرب على مناهجها»[3].

فيعتبر التعريب مظهرا من مظاهر الاحتكاك بين اللّغات ممّا قد يعرّض هذه اللّغات إلى نوع من التداخل المشترك و ذلك ما يراه اللّغوي "الفاسي الفهري" حيث جعل من التعريب جهازا اصطلاحا نستطيع من خلاله التعبير بألفاظ أجنبية و قد أطلق اللّغويّون عليه مصطلح "الاقتراض" كما سمّاه "محمّد الديداوي" في كتابه "الترجمة و التواصل".

---

[1]–سمير روحي الفيصل، المشكلة اللّغوية، ص92.

[2]–نازل معوض أحمد، التعريب و القوميّة، (6)، ط1، بيروت، 1996، ص42.

[3]–عبد السلام المسدّي، المصطلح النقدي، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع، تونس، أكتوبر 1994، ص29.

لم يختلف اللّغويّون العرب في تعريف التعريب فحسب، إنّما اختلفوا كذلك من حيث أهميّته في وضع المصطلحات في اللّغة العربية، فهناك من يرفضه بدليل أنّ «متي كثر هذا النّوع من الاقتباس تضاءلت اللّغة و ربّما أدّي ذلك إلى اضمحلالها»[1].

نلاحظ أنّ أصحاب هذا الرأي يرون أنّ الإفراط في التعريب قد يؤدّي باللّغة إلى تعرّضها للخطر أو ربّما إلى زوالها، فهي بهذه الحالة لا تنمو و إنّما تتطوّر بمعنى أنّها تتحوّل إلى لغة أخرى، و هذا ما عبّر عنه "عبد الرّحمن الحاج صالح" بقوله:«الدّخيل ظاهرة طبيعية و لكن التوليد بوسائل الاشتقاق هو أيضا ظاهرة طبيعيّة، فلا ينبغي أن يطغي الأوّل على الثاني و إلاّ تحوّلت اللّغة إلى لغة أخرى»[2]. و استعمال هذه الوسيلة في نظر البعض«أسلوب كسل»[3].

رغم ما ذهب إليه هؤلاء إلاّ أنّ اللّغويّون العرب وجدوا أنفسهم مجبرين على توظيف المصطلحات المعرّبة«لأنّ مفاهيمها أو تصوّراتها لم تقم في أذهان لغويي العرب، ومن العبث فرض المصطلحات العربيّة التّي لا تتناسب و المفاهيم التي تعنيها»[4].

نفهم من هذا أنّ ما جعل اللّغويين يلجئون إلي "وسيلة التعريب" هو صعوبة إيجاد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ استخدامه لا يتعدّى مرحلة من مراحل التجريد الاصطلاحي و بالتّالي«يلجأ إليه حتّى يظهر المصطلح عربي محدّد مرن»[5].

ولمّا كانت معظم المصطلحات المعرّبة ذات صيغة عالمية كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللّاتيني، أو تلك التي تتكوّن من اسم عالم نحو "منعكس بابينكسي"[6]، فهناك من

---

[1]–محمّد احمد العمايرة، بحوث في اللّغة و التربية، ط1، دار وائل للنشر، الأردن ، 2002، ص382.

[2]–عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي و الاستعمال الحقيقي للّغة العربية، مجلّة المجمع الجزائري للّغة العربية، 2005، ص18، الهامش رقم 7

[3]–محمّد أحمد العمايرة، المرجع السابق، ص313.

[4]–محمّد حسن عبد العزيز، المصطلحات اللّغوية، ص313.

[5]–عبد السلام المسدّي، قاموس اللّسانيات(عربي فرنسي، فرنسي عربي) مع مقدّمة في علم المصطلح، دار العربيّة للكتاب، تونس، 1984، ص55.

[6]–عبد المجيد سالمي ونور الدين خالد، معجم مصطلحات علم النفس، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1998، ص332.

يرى أنّ«المفاهيم العالمية المجمّع عليها في الميدان العلمي و التقني هي التي ينبغي أن تعرّب »[1].

نستخلص ممّا سبق أنّه لا يلجأ إلي التعريب إلّا إذا توفّرت في المصطلح صفة العالميّة، أو تعذّر وجود المقابل العربي المناسب له. على الرّغم ممّا ذهب إليه كلّ طرف ، إلّا أنّ لكلّ من الطرفين جانب من الحقّ لأنّ«جمال اللّغة مطلب، كما أنّ وظيفة اللّغة كوسيلة أيضا أمر مهمّ»[2].

لا داع إذن بوصف هذه الوسيلة بالقصور، ولاسيما لمّا نعلم أنّ اللّغة العربية عرفت هذا النّوع من النّقل منذ زمن بعيد، فهي لا يمكنها الاستغناء عنه، فهو يظلّ من الوسائل المعتمدة في وضع المصطلحات العربيّة.

[1]–عبد الرحمن الحاج صالح، اللّغة العربية و تحديات العصر، أعمال الندوة الخاصة بمكانة اللّغة العربية بين اللّغات، مجلّة اللّغة العربية، المجلس الأعلي للّغة العربية، الجزائر، 2001، ص29.

[2]– محمّد أحمد العمايرة، المرجع السابق،ص382.

3.المجاز:

يعد المجاز من الوسائل التي مارسها العرب في توليد ألفاظ و مصطلحات لا يقلّ شأنا عن غيرها، و قد عرّف العرب "المجاز" بأنّه ما تجاوز معناه الأصلي إلى غيره بقرينة مباشرة أو غير مباشرة تدلّ على ذلك، ويقصد به:« استعمال كلمة في غير ما وضعت له في الأصل»[1]، أو هو« اللّفظ المستعمل لغير ما وضع له أصلا، و لذلك يسمّيه البعض بالتغيير أو النقل، وهو يأتي لسدّ العجز الحاصل في اللّغة و يقوّي قدرته التعبيرية، ولا تكاد تخلو منه لغة من اللّغات البشريّة »[2]. و هذا يعني أنّ المجاز هو العمد (اللّجوء) إلى ألفاظ ذوات معان قديمة أو معاصرة للتعبير عن معني جديد؛ أي استخدامها للدلالة على مفاهيم جديدة، فيصبح لها مدلول جديد ينضاف إلى المدلول القديم مثلا: مصطلح طيّارة، أطلق في الأصل اللّغوي العربي على الفرس شديد السرعة، وصار يستخدم حديثا للدّلالة على وسيلة الطيران المعروفة، وهذا ما عبّر عنه أيضا أحد الباحثين بقوله:«أمّا المجاز الذي لا يخضع لقاعدة مضبوطة، فهو يعود في نهاية الأمر إلى الاشتقاق و هو ينحصر عموما في تطوير كلمة من معناها الأصلي أو القديم إلى معني جديد»[3].

يعدّ المجاز من الوسائل التي تمكّن من توفير عدّة اصطلاحات و تسميات للمفاهيم الجديدة و المبتكرات الحديثة، وقد أشاد به عبد السّلام المسدّي بقوله:«يتحرّك الدّال فينزاح عن مدلوله، ليلابس مدلولا قائما أو مستحدثا، وهكذا يصبح المجاز جسر العبور تمتطيه الدّوال بين الحقول المفهوميّة »[4]؛ أي أنّ المصطلح (الدال) بخرج عن مدلوله الأصلي ليأخذ مفهوما جديدا عن طريق الاستخدامات المجازية.

بالرّغم من تعدّد وسائل وضع المصطلح في اللّغة العربية، إلاّ أنّ المجاز يبقي من أهمّ هذه الوسائل التي يعتمد عليه في إيجاد مصطلحات للمفاهيم الجديدة، و في ذلك قال

[1]–أعضاء شبكة العلوم الصحيّة ، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحيّة و الطبيّة، ص64.

[2]–عمر أوكان، المرجع السابق، ص67.

[3]–محمّد رشاد الحمزاوي ، المنهجيّة العامّة لترجمة المصطلحات و توحيدها وتنميطها، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1986.

[4]–عبد السلام المسدّي، اللّسانيات و علم المصطلح العربي،ص46.

جميل الملائكة:«أمّا مجال توسيع معني اللّفظ بالخروج عن حقيقته إلي المجاز فكان و مازال من أوسع الأبواب في اغناء اللّغة العربية»[1].

[1]–مجلّة اللّسان العربي، العدد 39، ص41.

4.*الترجمة:*

تعدّ الترجمة من الوسائل الهامّة للرّقي اللّغوي وخاصّة في وقتنا هذا أين كثرت المنشورات باللّغات الأجنبية، فالاطّلاع على هذه الأخيرة يتطلّب ترجمتها إلى اللّغة العربية،و نظرا لأهميّة الترجمة الكبيرة، فقد تصدّى لدراستها الكثير من الباحثين و من هؤلاء نذكر جورج مونان (Georges Mounin)الذي عرّفها بقوله:«الترجمة عملية اتّصال غايتها نقل رسالة من مرسل إلى متلقّي أو مستقبل(récepteur)»[1]. فهي تلعب دورا هامّا في تقريب التفاهم و المعرفة بين الحضارات، ولمّا كانت الترجمة وسيلة من وسائل الاتّصال،فهي تستوجب نقل المعني و المبني معا، هذا يعني أنّ هذه العملية«تقتضي نقل المحتوي الدلالي للنصّ من لغة أصل إلي لغة نقلن حيث يتغيّر شكل الدلالة، و ينتقل معه المعني بوصفه عاملا سابقا على الكتابة و اللّغة»[2].

أمّا ما يتعلّق بأهميّة الترجمة، فهي تعتبر من أهمّ الوسائل التي يتطوّر العلم و ينمو جهازها الاصطلاحي، لكن رغم هذه الأهميّة فإنّ التّرجمة تتحوّل أحيانا إلى عكس هذه الوظائف و هذا ما يظهر واضحا في شأن المصطلح العلمي العربي و خاصة المصطلح اللّساني الذي يعاني من قضيّة تعدّد المصطلح المترجم للمفهوم الواحد في عملية الترجمة ، وقد انعكس هذا سلبا على البحث العلمي العربي و ذلك:«على دواعي الإرباك في البحث العلمي و قصور التواصل بين العلماء العرب، و أدّى بهم إلى العديد من المزالق وقفت عائقا أمام تأسيس علم مصطلحي عربي قادر على مسايرة التطوّر العلمي الدولي، فجلّ الدّراسات التي تناولت ترجمة المصطلح اللّساني لم تتجاوز المستوى الشكلي القائم على الصرف

[1]–جورج مونان، المسائل النّظرية في الترجمة ، ترجمة لطيف زيتوني،ط1، دار المنتخب العربي للدراسات و النشر والتوزيع ، لبنان، 1994، ص22.

[2]–رشيد برهون، الترجمة و رهنات العولمة و المثاقفة ، مجلّة عالم الفكر،ع1، مج 31، سبتمبر2002، ص171.

والتركيب»[1]، و لهذا سنذكر أهم الركائز التي يقف عليها المترجم في علم المصطلح حتى تكون ترجمته ملائمة لكل مصطلح في أيّ علم من العلوم.

ترتكز عملية الترجمة على المتصوّرات و المفاهيم لا على الدلالات والتسميات،لكونها كذلك، فهي عملية تقوم على مراحل و هي:

1. مرحلة تحديد المتصوّر:

يتمّ نقل المصطلح من لغة إلى أخرى، بواسطة التكافؤ بين شبكة من العلاقات الصرفيّة والدلاليّة والتركيبيّة في لغة الأصل و اللّغة الهدف غير أنّ هذا التكافؤ لا يكون دائما موجود لذلك يلجئ المترجم إلى التطويع و هنا تظهر شبكة أخرى من العلاقات و تكافئ جديد[2]،ولتجاوزه لابدّ من ترجمة المتصوّرات أوّلا ثمّ صياغتها في مفاهيم و مصطلحات داخل لغة الهدف، وهذا الأمر يتطلّب المعرفة بالأطر الابستيمولوجية التي يولد فيها المصطلح في بيئته الأصليّة، ثمّ كيف سيولد في بيئة جديدة بعد الترجمة، ولذلك فترجمة المتصوّرية تغنينا عن المشاكل الصرفيّة والتركيبيّة في المصطلح.

فالترجمة المصطلحيّة تحرص على إيجاد نوع من التطابق بين المتصوّر والمفهوم والمصطلح «فتقوم هذه الترجمة على جمع بين نظام التصوّرات ونظام اللّغة، فيكون هذا الجمع بمثابة القاسم المشترك الذي يسمح بانتقال مجموعة من المصطلحات الخاصّة بلغة إلى مجموعة مصطلحات لغة أخرى مع الإشارة إلى التفاوتات القائمة بين المجموعتين»[3]. ولكن يبقي الأمر نسبيّا لأنّ التصوّرات تسكن كلّ العقول ولا تسكن كلّ اللّغات.

2. مرحلة ضبط المفهوم:

تقوم هذه المرحلة على تحليل المفهوم و ضبط سماته المفهوميّة بدقّة حتّى يتمكّن المترجم من الإلمام بها قبل ترجمتها، لأنّ هذا الأخير يبحث عن ما سمّاه "كابنهود" "مبدئ

[1]–مقران، ترجمة المصطلح اللّساني، 2009.

[2]–عبد القادر الفاسي الفهري، المصطلح اللساني، مجلّة اللّسان العربي ،ع 23، المنظّمة العربية للترجمة و الثقافة و العلوم، مكتب تنسيق التعريب، تونس، المغرب.

[3]–ديبكر، 2009، ص180.

التعادل المفهومي" أو"المعادلة المفهوميّة" في اللّغتين المصدر و الهدف، و إذا غبت هذه المعادلة فإنّ ذلك راجع في رأيه إلى وجود معنيين للمصطلح ينبغي التمييز بينهما. إلّا أنّ هذا الحلّ حسب"كابنهود" هو حلّ وسط تداولي تواصلي لذلك يعوّل على الرّوابط الدلاليّة ، و التي يعتبرها من أكثر المعايير مناسبة للتمييز بين مفاهيم المصطلحات، حيث تكون هذه الروابط «على تقطيع الواقع المرصود في كلّ لغة بشكل أفضل و بعرضه بشكل ملائم لدى صياغة التعريفات»[1]، لكن الطرح لا يف بحاجة المترجم لأنّ تعادل المفهومي و تقطيع الواقع الدلالي لكلّ لغة تعترضه مشكلات أهمّها الخصوصيّة اللغويّة وقدرة المترجم على تحليل السمات المفهوميّة لكلّ مصطلح في لغته الأصل و محاولة نقلها إلى لغة الهدف، إلى جانب ذلك التطوّر المستمرّ الذي يلحق العلوم، يستلزم مراجعة للمفاهيم و لذلك أفضل طريقة في الترجمة المفهوميّة هي عمليّة رصد التكوين المفهومي للمصطلح في سياق إنتاجه وسياق استعماله؛ أي أنّها تستند إلى ضبط المتصوّرات أوّلا ثمّ تحديد المفاهيم ثانيا انطلاقا من الضبط.

3.مرحلة ترجمة المصطلح:

تقوم هذه المرحلة على ما توصّلت إليه المرحلتان السابقتان من نتائج تكمن في ضبط المتصوّر، وتحديد المفهوم وفهم العلاقات الرابطة بينهما في لغة الأصل ثمّ ترجمتها إلى لغة الهدف.

لقد اقترح لنا الدكتور خليفة الميساوي في كتابه "المصطلح اللّساني و تأسيس المفهوم" منهجا لترجمة المصطلح، وهو أساسي و منطقي و يتمثّل في ما يلي:

- إدراك المتصوّر الذي نشأ فيه المصطلح و تولّد عنه.
- إدراك المفهوم المرتبط بهذا المتصوّر.
- إدراك الحقل الدلالي الذي نشأ فيه المصطلح.

[1]–كابنهود، 2009، ص202.

- اختيار المصطلح المناسب وفق الشروط السابقة مع علاقاته بالامكانيات اللّسانية (المعجميّة) التي تسمح بها اللّغة الهدف من اشتقاق و نحت وتعريب .....الخ لإخراج المصطلح ملائما لخصوصيّة اللّغة الهدف.

تكون هذه الترجمة مقيّدة بالتصوّر والمفهوم المرتبطين بالحقل العلمي مع إدراك العلاقة الرابطة بين المصطلح و المصطلحات المجاورة في ميدانه التداولي التواصلي.

5.النحت و التركيب:

إنّ مصطلح النحت في اللّغة العربية يعني القطع، و النشر و الاختزال، و التنقيص و التّسوية، و البناء، كما ورد في المعاجم العربية التراثية المعروفة، مثل«لسان العرب» و«تاج العروس» و«الصحاح» و غيرها. و تعني اصطلاحا:«أن ينتزع من كلمتين أو أكثر كلمة جديدة تدّل على معنى ما انتزعت منه»[1]. بمعنى أنّ النحت هو استخراج كلمة واحدة من صيغتين أو أكثر قصد الاختصار.

يرجع مصطلح النّحت إلى الخليل ابن أحمد الفراهيدي، الذي خصّص له بابا في «كتاب العين»،فتحدث عنه و أوضحه بعدّة أمثلة منها:عبشميّ نسبة إلى عبد شمس والفعل(تعبقس) بمعنى انتسب إلى القيس، و بين ذلك بشرح بنية كلمة(عبشميّ) بقوله:«أخذ العين و الباء من عبد، و أخذ الشين و الميم من شمس و أسقط الدال و السين، فبنى من الكلمتين كلمة،هذا هو النحت»[2]، بمعنى أنّ النحت عند الخليل هو الأخذ من صيغتين لبناء صيغة جديدة تحمل ذلك المعنى بإسقاط بعض الصوامت و الصوائت.

و أما على عبد الواحد وافي، فقد وسّع مجاله أكثر فيقول:«هو أن تنزع أصوات كلمة من كلمتين فأكثر، أو من جملة للدلالة على معنى مركب من معاني الأصول التي انتزعت منها»[3]، بمعنى أنّ النحت قد يكون: من كلمتين مثلا:كهرومنزلي بدل كهربائي منزلي. و من جملة: الحوقلة بدل لا حول و لا قوة باللّه أو البسملة بدل بسم الله الرّحمن الرحيم.

و الجدير بالذكر أنّ النحت ظلّ محدودا جدّا، حتى إنّ بعض المعاجم تكاد تخلو منه، و ذلك لاعتباره ليس من سمات العربيّة بل هو سمة نوعية لفصيلة اللّغات الانضمامية*

---

[1]–إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربيّة و خصائصها، ط2، دار العلم للملايين، 1986، ص209.

[2]–أعضاء شبكة العلوم الصحيّة، المرجع السابق، ص117.

*–مصطلح اللّغات الانضماميّة هو من وضع د عبد السلام المسدّي، هي التي ينضاف إلى الكلمات الأصليّة سوابق و إلى أواخرها لواحق(ينظر:عبد السلام المسدّي، المصطلح النقدي, ص25.

[3]-علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ط1، نهضة مصر، 1997، ص144.

نحو: اللاتينية و الجرمانية، و ذلك بإدخال السوابق و اللّواحق على اللّفظ لإنتاج كلمات جديدة لا تحصى.

من هنا اختلف اللّغويون العرب حول قضيّة الإفادة من النحت فهناك من رفضه بحجّة أنّ القارئ الذي يصادف هذه الكلمات المنحوتة لا يتمكن من معرفة أصولها،التي أخذت منها، و بالتّالي يتعذر عليه إدراك معناها من لفضها، و لعلّ هذا ما جعل النحت يبقى بعيدا عن الشكل الذي يعطيه الأهميّة حيث«وضعته المؤسّسات المصطلحية في آخر المطاف، و يمكن اللّجوء إليه بعد تعذّر كل الوسائل الممكنة لصياغة المصطلح»[1]. و على العكس من ذلك هناك من يعطي الأهميّة للنحت، و بضرورة الإفادة منه في وضع مقابلات عربيّة للمصطلحات الأجنبية فنجد مصطفى الشهابي يقول:«نحن في حاجة إلى النحت في ترجمة بعض الأسماء العلميّة»[2].

أمّا التركيب فيكون دون الاختزال، أي أخذ كلمتين معا كأدنى حد، أمّا الحد الأقصى فيظّل مجهولا،لكنّه لا ينبغي أن يصل إلى حد الجملة لأنّ في هذه الحالة يحكم عليه بأنّه«جملة و ليس تركيبا»[3]، ممّا يؤدي إلى التعقيد بتعدد العناصر المكّونة للتّركيب.

و مع ذلك يبقى«التركيب» من أهّم الوسائل في«ترجمة العناصر المكّونة لمصطلح أوروبي مرّكب إلى اللّغة العربيّة، و تكوين تركيب عربي من أكثر من كلمة يؤدي معنى المصطلح الأوروبي»[4].

---

[1]-صالح بلعيد، مشكلة المصطلح العلمي في الوضع أو في الاستعمال،مجلّة اللّسانيات، مركز البحوث العلميّة و التقنية للّغة العربية، ع8، 2003، ص84.

[2]-محمود فهمي حجازي، الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح، ص75.

[3]-جواد حسني سماعنة، التركيب المصطلحي، طبيعته النظريّة و أنماطه التطبيقية مجلّة اللّسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، ع50، 2000، ص43.

[4]-محمود فهمي حجازي، المرجع السابق، ص77.

ثالثا: المصطلح اللّساني و وضعيته:

إنّ عالم البحث العربي تتجاذبه الكثير من المسائل على مستوي المصطلح بشكل عام، والمصطلح اللّساني على وجه الخصوص ولعلّ ذلك يرجع إلى أهميّة الوظائف التي يؤدّيها في بناء العلوم و ضبط حقولها المعرفيّة و التواصليّة، حيث يمثّل حلقة وصل بين مختلف العلوم، ويعبّر عن محتواها تعبيرا منطقيّا، ممّا أكسبه الصفة الكونيّة في تأسيس المفاهيم و توحيدها ة تعريفها.

لم يبلغ المصطلح اللّساني العربي و غيره من الميادين العلميّة الأخرى و هذا المدار التأسيسي، ممّا جعله يفتقر إلي عدّة خصائص تأسيسيّة تمثّلت أبرزها في العوائق الابستيمولوجيّة، غلى جانب ذلك ما يطرحه من قضايا وإشكاليات في تأسيس المفهوم و في ترجمته و آلية وضعه و إجرائه في الدرس اللّساني العربي.

3_1_تعريف المصطلح اللّساني:

إذا كان المصطلح رمز محدّد لمفهوم ما، في مجال علمي ما فإنّ المصطلح اللّساني«يجدّد هويّة المصطلح باعتباره تقييدا له بكونه لسانيّا يمكن أن يكون مظلّة بحثيّة تضمّ تحت جناحيها أعمالا علميّة تبحث في المصطلحات اللّسانيّة لا في المصطلح بعامّه»[1].

و هذا يعني أنّ المصطلح اللّساني مرتبط بحقل علمي حديث، ألا و هو حقل اللّسانيات(علم اللّسان)، و هذا لأنّ«كلّ حقل من الحقول المعرفيّة البشريّة يتوفّر على مجموعة كبيرة من المفاهيم التي ترتبط فيما بينها داخل الحقل الواحد على هيئة نظام متكامل(.....) كما يتوفّر كلّ حقل على مجموعة كبيرة من المصطلحات التي تعبّر عن مفاهيمه لغويّا و يصاحب كلّ تقدّم و تطوّر في حقول المعرفة نموّ وزيادة في عدد المفاهيم التي تحتاج إلي مصطلحات تقابلها....»[2].

و يمثّل حقل اللّسانيات«الدراسة العلميّة الموضوعيّة للّسان البشري؛ أي دراسة تلك الظاهرة العامّة المشتركة بين بني البشر»[3]، بمعني أنّه يدرس اللّغة الإنسانية دراسة علميّة موضوعيّة تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن الأحكام المعياريّة.

لم يكن ظهور هذا الحقل العلمي الجديد إلّا بعد ذلك التّغيير الذي عرفته الدّراسات اللّغويّة التاريخيّة على يدّ العالم اللّغوي السويسري أب اللسانيات فرديناند دي سوسير، ممّا أدّى إلى ظهور مفاهيم خاصة بهذه الدراسات الجديدة (الوضعية) ألزم ذلك وضع مصطلحات دقيقة تعبّر عن هذه المفاهيم الموضوعية و تلك المصطلحات هي عبارة عن تسميات لغوية، و وحدات رمزية تصف تلك المفاهيم و تعبر عنها.

فالمصطلح اللّساني إذن هو ذلك الدال الذي يعبّر عن مفهوم(مدلول) لساني بطريقة موضوعية بعيدا عن الذاتية.

---

[1]-سمير شريف استيتيه، اللسانيات، المجال و الوظيفة و المنهج،ط2، عالم الكتب الحديث، اربد، 2008، ص341.
[2]-علي القاسمي، 1987، ص127.
[3]-خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيّات، ص9.

3_2_مشكلاته:

يعدّ ظهور المصطلح اللّساني«مشكلة من مشكلات متحدّدة تتعلّق باللسانيات»[1] ،والحق أنّ«اللسانيات حقل من الدراسات التي تعاني أساسا ما تعانيه العلوم المقترضة من مشكلات تتصل بوضع ثمرات الدرس الأجنبي في متناول الباحثين العرب من حيث اللغة والأسلوب و الطرق المنهجية، و بمتابعة التطوّر العلمي السّريع حتى يبقى الاتّصال بين الدّرسين العربي و الأجنبي مستمرّا دون انقطاع و بتكييف المعطيات العلمية و المعرفية الغربية لتتنزّل في درسنا منسجمة غير ناشرة، و بإبداع المصطلحات الموافقة للعلم من جهة و المستمدّة من جهة أخرى»[2].

يمكن النظر إلى مشكلات المصطلح اللّساني من وجهتين، الأولى عامة و الأخرى خاصة. فأمّا العامّة فأهمّها: تحكم الوضع الفردي و الاجتهادي في وضع المصطلح، وعدم الإتّفاق على منهجيّة محدّدة في وضع المصطلح، مع كثرة الاقتراحات المتداولة في هذا الصّدد و غياب فعالية جهات التنسيق العربيّة، كمكتب تنسيق التعريب و مجامع اللّغة العربيّة مع ما تبذله من جهود وتكابده من صعوبات و تعدّد مصادر العلوم المقترضة ولغاتها الأصليّة، و صعوبة نشر المصطلح في أقطار العروبة بسبب التجزئة و القيود المفروضة على التبادل العلمي و الثقافي[3].

أمّا الوجهة الخاصّة فتتجلّى فيما يخصّ المصطلح اللّساني وحده فمن ذلك:كثرة المصطلحات المتداولة واضطراب دلالتها بسبب الترخّص في استعمالها و عدم مراعاة حدودها العلميّة، واتّساع المجالات العلميّة الثقافيّة التي تنتمي إليها المصطلحات اللّسانيّة وغموض الكثير من المصطلحات في مصادره الأصليّة بسبب حدّة هذا العلم لدي الأجانب أنفسهم، و معاناتهم من اتّساع مجالاته و تعدّد مدارسه، و حداثة الكثير من المصطلحات

[1]-أحمد قدور، اللّسلنيات و آفاق الدرس اللّغوي، دار الفكر، دمشق، 2001، ص12 وما يليها.
[2]-أحمد قدور، اللّسانيات والمصطلح، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، المجلّد(81)، الجزء4.
[3]-أحمد قدور، اللّسانيات و آفاق الدرس اللّغوي، 2001، ص23.

اللّسانية و لاسيما في المجالات التطبيقيّة و اتّصالها بالعلوم الفيزيائية و الطبيّة و نحو ذلك[1].

و حتّى تسلم اللّسانيات و تبقي رافدا من روافد النّهضة العلميّة الحديثة، لابدّ من السعي إلى معالجة و إيجاد الحلول لتلك المشكلات التي عصفت باللّسانيّات ومصطلحاتها،وفي هذا الصّدد قدّم لنا الدكتور أحمد قدّور في كتابه"اللّسانيات و آفاق الدرس اللّغوي بعض الاقتراحات أهمّها:

- استعمال الشائع عن المجامع اللّغويّة من المصطلحات و لاسيما ما كان واردا في المعاجم اللّسانيّة الحديثة.
- قبول ما يصدر عن المجامع اللّغويّة من مصطلحات و ما تعتمده الجامعات والمؤسّسات القوميّة، ووضعه بين أيدي الدارسين و الطلبة.
- الكفّ عن محاولات التسابق علي وضع المصطلحات، والرجوع إلي تاريخ الدرس اللّساني في العربيّة للاستفادة من جهود السابقين الروّاد.
- إنشاء مكانز المصطلحات العلميّة عامّة و اللّسانيّة خاصّة في المجامع اللّغويّة والجامعات و ربطها بالشبكة العالميّة للاتّصالات.
- الاهتمام بتدريس"علم المصطلح" ضمن الدراسات اللسانيّة و توظيفه في توحيد الجهود وتنسيق المصطلحات الشائعة.
- المبادرة إلى تأسيس جمعيّة علميّة تعني بالمصطلح العلمي، ولاسيما المصطلحات اللّسانية بإشراف اتّحاد المجامع اللّغة العربيّة[2]، ومن الضروري أن تكون تلك الحلول جماعيّة [لأنّ الزمن زمن المؤسّسات و المراكز]، لو أن يكون إنشاء تلك الجمعيّة العلميّة المقترحة لمعالجة ووضع الحلول العامّة من قبل الباحثين أهل الاختصاص.

[1]-أنظر، المرجع السابق، ص34.
[2]-أحمد قدور، اللّسانيات و آفاق الدرس اللّغوي، ص 36،37.

3_3_وضعية المصطلح اللّساني:

إنّ دي سوسير نبع لا ينضب للنظريات اللّسانية التي جاءت بعده، فهو بحق أب اللّسانيات،لأنّ كثيرا من القضايا اللّسانية التي تليه كانت قد ولدت من طرحه، إما عن طريق التأثير المباشر أو الغير المباشر–عن طريق تلامذة سوسير لمحاضراته سنة 1916. ممّا أفضى إلى ظهور عدّة اتّجاهات و مدارس لسانية يعبّر أصحاب كلّ منها عن أفكاره و تصوّراته بمجموعة من المفاهيم و المصطلحات و التمييز بين هذه المصطلحات المتعدّدة يكون بالنّظر إلى النظريات اللّسانيّة المختلفة حيث أنّ«لكلّ منها في الغالب مصطلحاتها التي تعكس مفاهيمها الخاصّة النابعة عن نظريتها اللّغويّة. بل نجد في إطار المدرسة الواحدة تنوعا في المصطلحات وفقا للاجتهادات الخاصّة بكلّ باحث»[1]. بمعنى أنّ المصطلح في الدراسات اللّغوية الحديثة يتّسم بالتعدّد و الاختلاف و ذلك يعود إلى تعدّد الاتجاهات اللّسانية.

الواقع أنّ وضعية المصطلح اللّساني في الوطن العربي معقدّة جدّا. و السبب في ذلك يعود إلى«اختلاف الينابيع التي ينهل منها علماء العرب اليوم بين لاتيني و سكسونّي و جرمانّي و سلافّي، و طبيعة الجدّة« المتجدّدة» التي تكسو المعرفة اللّسانية المعاصرة، و تراكيب الأدوات التعريفية و المفردات الاصطلاحية، ممّا يقتضيه تزاوج مادّة العلم و موضوعه في شيئ واحد هو الظاهرة اللّغوية، ثمّ طفرة الوضع المفهومي، و ما ينشأ عنه من توليد مطّرد للمصطلح الفني بحسب توالي المدارس اللّسانية و تكاثر المناهج التي يتوصل بها كل حزب من المنتصرين للنّظرية الواحدة أحيانا»[2]، نجد أنّ ما جعل المصطلح اللّساني في وضعية معقدّة و مستعصية، اختلاف المصادر التي أخذ منها العلماء العرب، التطوّر المستمّر للبحث اللّساني ما يجعله في حالة تجدّد، إلى جانب ذلك كثرة المدارس و المناهج اللّسانية.

[1]-محمّد حسن عبد العزيز، سوسير رائد علم اللّغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ص162.
[2]-عبد السلام المسدي، قاموس اللّسانيات،ص55.

إنّ اضطراب المصطلح اللّساني راجع إلى تعدّدية المناهج المتبعة عربيا في صوغ المصطلح التي تخضع للتعريب و الاشتقاق و النحت، ويضع آخرون المصطلح باعتماد الترجمة أو برجوعهم إلى التراث العربي قصد إحياء ما فيه من مصطلحات، فتعدّدت الوسائل و طرق وضع المصطلح من طرف الدارسين العرب أفرادا و جماعات، مؤسسات و هيئات رغم أنّ الهدف واحد و قد أدّى هذا التعدّد في تصوّر وضع المصطلح«إلى خلق لغات علمية عربية عديدة قائمة الذات»[1]. و قد تعود أسباب هذه الوضعية إلى:

- اختلاف مصادر التكوين العلمي و المعرفي للسانيّين العرب، و توزعهم على ثقافة فرنسية و انجليزية و ألمانية ممّا أدّى إلى تفضيل ما استعمله كلّ واحد منهم دون النظر إلى توحيد المصطلحات، و على هذا الأساس، فلا مناص من التأكيد أنّه لا يوجد أيّ اتّفاق حول المصطلحات اللّسانية الحديثة التي يتّم تداولها في الدرس اللّساني.
- طبيعة الدرس اللّساني في حدّ ذاته، التي تتمثّل في تطوّره و تجدّده المستمرّة، و عجز اللّغويون العرب على مواكبة هذا التطوّر.
- غياب المختصّين في المصطلحية–اللّسانيات–في الجامعات العربية.
- عدم الاتّفاق على التسمية الواحدة لمفهوم واحد، فنجد ترجمات متعدّدة و متنوّعة تخصّ مصطلحا لسانيا واحدا و أوضع مثال على الفوضى التي تعصف بالمصطلح اللّساني هو عنوان هذا العلم، أيّ اللّسانيات، فقد بلغت المصطلحات المعربة والمترجمة لهذا المصطلح ثلاثة و عشرين مصطلحا منها: علم اللّغة، و علم اللّسان،و اللّغويات، و علم اللّغة العام، و الألسنية و اللّسانيات، و الدراسات اللّغوية الحديثة و غيرها....»[2].

[1]-محمّد مجيد السعيد، دور مؤسّسات التعليم العالي في توحيد المصطلح وإشاعته، اللّسان العربي، ع29 ، ص148.
[2]-عبد السلام المسدذي، المرجع السابق، ص72.

و مـن الأمثلـة الأخـرى المصـطلح الأجنبـي (phonème) يقابلـه مصـطلحات عربيـة وفيرة،فونيم، و صوتم، و صوت، و فونيمية و صوتيم ولافظ و غيرها»[1].

تعدّ المجـامع اللّغويـة، المؤسّسـات اللّغويـة الوحيـدة التـي بإمكانهـا أنّ تسـاعد علـى توحيـد المصطلح العلمي العربي، و إذاعته و نشره، فهي التي تساعد على التخلّص من ازدّواجية المصـطلح، فهـذه مكتـب تنسـيق التعريـب بالرّبـاط إلـى وضـع حـلّ لهـذه المشـكلة، و ذلـك بتـأليف«المعجم الموحّد للمصـطلحات اللّسـانية»*، فيعدّ المكتب أكبر هيئـة عربيـة تضـطلع بتنسيق المصطلح العربي و توحيده»[2].

إلاّ أنّ هذا المعجم وقعت فيه بعض الارتباكات، كوضع مقابل عربي واحد لعدّة مصطلحات غربيّـة مـثلا مصـطلح "التركيـب" يقابلـه مصـطلحين "composition" و "syntax" باللّغـة الفرنسية.

ممّا تقدّم نستنتج أنّ المصطلح اللّساني في الوطن العربي بحاجة إلى منهجيّة و طرق لتوحيد المصطلح المعرّب للخروج من فوضـي تعدّد المصطلحات، حيث أنّ كلّ المحاولات الكثيرة والحثيثة نحو تعريب المصطلح و توحيده فرديّة، كانت أو جماعيّة، مؤسسيّة أو مجمعيّة، لم تحقّق أهدافها، حيث نجد عدّة مقابلات للمفهوم الواحد، ممّا جعل الدّارس في حيرة في التعامل مع هذا المصطلح وذاك، فكانت النتيجة المنتظرة من ذاك كلّه، بحسب تعبير العالم اللّغوي أحمد الأخضر غزال:«هزيلة إذا قورنت بضخامة المشكلة و بالمجهودات الصادقة التي تبذل»[3].

---

[1]-مجلّة عالم الفكر، م20/ع3، ص584.

*-معجم ثلاثي اللّغة ينطلق من اللّغة الانجليزية مع مقابلات فرنسية ، عربية ، يضم 3059 مادّة لغوية رتّبت ترتيبا ألفبائيا.

[2]-أنظر فريد حيدر ، توحيد و ترجمة المصطلح في الوطن العربي ، ص14.

[3]-أحمد الأخضر غزال، المنهجي،ة العامّة للتعريب المواكب، معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب، الرباط، 1977، ص39.

الفصل الثاني:

المسار التاريخي للحجاج

أولا–المسار التاريخي للحجاج عند العرب قديما.

ثانيا–المسار التاريخي للحجاج عند الغرب قديما.

ثالثا–المسار التاريخي للحجاج عند العرب حديثا.

رابعا–المسار التاريخي للحجاج عند الغرب حديثا.

نبذة تاريخية عن الحجاج:

الحجاج آلية تداوليّة حديثة، و لكنّها تملك جذورا ضاربة في القدم، إذ ذكر أنّ أساطير الحجاج من أقدم الأساطير و هي تعود إلى القرن الخامس(ق.م)، و يحكى بشأن ذلك أنّ صقلية كان يحكمها طاغيتان انتزعا الأراضي من أصحابها لتوزّعها على جنودها،ولمّا أطاحت الثورة بالطغيان سنة (467 ق.م) طالب المالكون باسترجاع أراضيهم المغتصبة[1]، وأفضى ذلك إلى رفع قضايا لا نهاية لها و هذه الظروف [حسب ما يقال] هي التي وضع فيها "كوراكس" (corex) و تيزياس (tisiais) طريقة معقلنة للكلام أمام المحكمة فكانت الرسائل الأولي في الحجاج[2].

و تذكر حكايات أخرى مختلفة تحاول أن تضع بداية لولادة الحجج سواء منها ما روى عند الغرب أو عند العرب حيث يذكر في إحداهما أنّه كان طريقة عند المعتزلة، و أنّهم أول من مارسوا التفكير العقلي في معالجة المسائل الدينيّة، فليس الحجاج إذن ظاهرة فكريّة حديثة، بل له امتدادات قديمة خاصّة عند علماء اليونان و الرومان و المسلمين، ويتجلى الحجاج واضحا في ثقافتنا العربية الإسلامية في علم الكلام و الفلسفة، و علم الأصول والنحو، و المناظرة و المنطق و الخطابة.....و أكثر من هذا.

أمّا في عصرنا هذا، فقد كثر الحديث عن الحجاج و أهميتّه و دوره الناجح في مقاربة مختلف الخطابات حيث أصبح موضوعا لافتا للانتباه بسبب حضوره الكلي أو الجزئي في مجموع الخطابات سواء أكانت فلسفية أم أخلاقية أم أدبيّة أم سياسية أم سميائية أم لسانيّة أم اجتماعيّة أم دينيّة أم فنيّة...الخ.

كما تناولته بالتحليل والدرس و التقويم و المعالجة دراسات و أبحاث و كتب كثيرة من الصعب حصرها، و هذا يعني أنّ عصرنا هذا هو عصر الحجاج و الجدل و الإقناع

[1]-كريستيان بلانتان، الحجاج، تر:عبد القادر مهيري، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص9.
[2]-نفسه، ص9.

والتأثير، لاسيما مع تطوّر وسائل الإعلام و الحاجة الماسّة إليه بعد أن كثر الخلاف والعنف و التطرّف و الإرهاب لأنّ الحجاج هو سبيل العقل و المنطق و الاختلاف و التسامح والحوار و البناء و الجدل و الحسن.

و من هنا أصبح الحجاج أداة للحوار و مناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها ومصداقيتها، وآلية مهمّة في محاورة الأطراف المشاركة في عمليّة التواصل و الغرض من ذلك هو الوصول إلى نتائج مقنعة و شافية لمجموعة من القضايا و الأسئلة الخلافية التي يتجادل حولها الناس و المفكّرون و العلماء على حدّ سواء.

فالحجاج في طابعه العام ينبني على طرح الدعوى واستعراض الحجج و الأدلّة والبراهين و الأمثلة الداعمة لها لإفحام الخصم بغية الوصول إلى جواب قد يقتنع به المتلقّي أو لا يقتنع و ذلك بالاستناد إلى مجموعة من الآليات الاستدلالية و أساليب التفسير والبرهنة.

1ـ تعريف الحجاج:

1ـ الحجاج لغة:

تدور معاني الجذر اللّغوي لكلمة حجاج(ح ج ج) المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرأي أو ما شابه، و منه الدليل على الرأي المرغوب إثباته، و هذا ما تجده واردا في بعض المعاجم العربيّة فمنها من أورد معني الحجاج «غلبه بالحجّة أو حاجه محاجة، و حجاجا جادله، و احتجّ عليه، أقام عليه الحجّة، وعارضه مستنكرا فعله، و تحاجوا: تجادلوا، والحجّة و الدليل و البرهان»[1].

يظهر من هذا أنّ الحجاج يكون لخصومة وهذا ما دلّت عليه كلمة "غلبة" و تكون الغلبة في الكلام و الخطاب للّذي يقيم الحجّة و البرهان على صحّة ما يدّعي.

و قد ورد في أساس البلاغة «حاج خصمه فحجّه، و فلان خصمه محجوج»[2]. و"محجوج" أي "مغلوب".

و ما يزيد هذا المعني قوّة ما أتي به ابن منظور في لسان العرب « فالحجّة ما دوفع به الخصم، و رجل محجاج أي جدل، و التحاج التخاصم، واحتجّ بالشيء، اتّخذه حجّة»[3].

و قد ورد لفظ الحجاج في عدّة آيات من القرآن الكريم منها، قال تعالى:«ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم واللّه يعلم وأنتم لا تعلمون»[4].

-«و الذين يحاجّون في اللّه من بعد ما استجيب له حجّته داحضة عند ربّهم و عليهم غضب ولهم عذاب شديد»[5].

---

[1]-ابراهيم مصطفى، أحمد حسين الزيان، حامد عبد القادر، محمّد علي النجّار، المعجم الوسيط، الجزء الأول، المكتبة الإسلاميّة، ط2، ص106، 107.

[2]-جار اللّه أبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1، 1998، ص74.

[3]-جمال الدّين محمّد بن مكرّم أبو الفضل ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة (ح ج ج)، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، ص38.

[4]- سورة آل عمران، الآية66.

[5]- سورة الشورى، الآية16.

يظهر لنا من خلال هذه التعاريف أنّ اللّغويّين العرب القدامى يشتركون في نقطة واحدة هي أنّ الحجاج يكون أثناء المخاصمة بين شخصين حيث اعتبروا الحجّة وسيلة يستعملها المتكلّم للتغلّب على خصمه.

2ـ الحجاج عند العرب قديما:

يضرب مصطلح الحجاج بجذوره القويّة في الخطاب العربي، فضلا عن الدور الذي لعبه في الحياة العقيديّة و السياسيّة في البيئة العربيّة الإسلاميّة. فلا تكاد تخلو كتب التراث الإسلامي من تداول مصطلح "الحجاج في عدّة مجالّات و خصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري و الفلسفي التي كثيرا ما تتعرّض إلى خلاف في وجهات النظر، فهو مستعمل في علوم النحو و اللّغة و الحديث و الفقه و الأصول و علم الكلام... وقد استعملت مصطلحات مقاربة لمعني الحجاج: "الجدل"، "المناظرة"، "المجادلة"، "المحاورة"...، فتقاربت معانيها ـإن لم نقل ترادفتـ و قد أجمعت معظم المعاجم على أنّ الحجاج مصطلح نقصد به المفاوضة على سبيل المنازعة و المغالبة لإلزام الخصم.

2ـ1ـالحجاج في القرآن الكريم ل: عبد الله صولة.

ينطلق هذا الباحث من خلال كتابه الحجاج في القرآن من خلال أهمّ مظاهره الأسلوبية من أسئلة عديدة من بينها:«ما الحجاج؟ و كيف يمكن أن يكون منه شيئ في القرآن؟ ما المقصود بالخصائص الأسلوبية؟ و ما هي هذه الخصائص الأسلوبية التي نروم رصد بعدها الحجاجي في القرآن دون سائر ما فيه من مظاهر لغوية و قصصية مضمونية عامّة؟»[1]وفي بداية بحثه يحاول تحديد مفهوم الحجاج و يتوصّل إلى أنّه قاسم مشترك ما بين الجدل و الخطابة.

جاء ذكر التحاجج و الحجّة في القرآن الكريم بمعانيها المختلفة عشرين مرّة[2]، فقد جاء بلفظ حجاج و جدل و برهان و نلمسه في آيات كثيرة مثلا قوله: «ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم»[آل عمران66]، وقوله:«لئلا يكون للنّاس على اللّه

[1]-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، ط1، لبنان، 2001، ص7.

[2]- علي الإدريسي، في تأسيس الحجاج لدى مفكري الإسلام- رسالة جوابية للحسن البصري على رسالة الملك بن مروان نموذجا، التحاجج طبيعته و مجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، سلسلة ندوات و مناظرات رقم134، منشورات كلّية الآداب و العلم الإنسانيّة، جامعة محمّد الخامس، الرباط، المغرب، ص82،83.

حجّة بعد الرسل»[النساء165]، و ذكرت كلمة برهان ثماني مرّات كقوله تعالى:«تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»[البقرة111].

2ـ2ـالحجاج في الحديث النبوي الشريف:

جاء في الحديث النبوي الشريف إشارات إلى فكر الإقناع وتداوله بين النّاس و بين الرسول صلّي اللّه عليه و سلم، و كذا بينهم و بين بعضهم، و من أشهر ما يستدلّ به في هذا الموضوع «حديث الرجل الذي جاء إلى رسول اللّه ناكر لون ولده، قائلا: يا رسول اللّه إنّ امرأتي ولدت غلاما أسود فقال له رسول اللّه: هل لك من إبل؟ قال نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم، قال:فمن أين ذلك؟ قال لعل عرقا نزعه»[1].

وورد في مسألة خلافته صلّي اللّه عليه وسلم من قبل الأنصار و المهاجرين في سقيفة ببني ساعدة و ذلك بخصوص المناظرة الشهيرة:"نحن الأمراء و أنتم الوزراء" بين المهاجرين و الأنصار[....] و بذلك استأثر المجال السياسي و تدعياته بموضوع و الجدل بين المسلمين في هذه المرحلة[2].

و هذا علي مستوى الممارسة الجدليّة و الحجاجيّة، غير أنّ تناول موضوع الحجاج في البحث و الدراسة قد ضلّ مؤجّلا إلى ما بعد ذلك.

3ـ2ـالحجاج في البلاغة العربيّة القديمة:

للبلاغة العربيّة القديمة صلة وثيقة بالحجاج، و الدّليل على ذلك هو أنّ المتصفّح لأهمّ مصادرها القديمة يكتشف أنّ الهدف منها هو الإقناع، فالغاية الرئيسيّة للبلاغة العربيّة هي غاية حجاجيّة بالدّرجة الأولى، و ما يثبت ذلك هو أنّ أغلب التعاريف التي أعطيت لها من قبل أهمّ البلاغيّين القدامى جاء على هذا النحو، فنجد أبو الهلال العسكري مثلا قد صاغ مفهوما خاصّا للبلاغة حيث قال:«البلاغة هي كلّ ما تبلّغ به المعني قلب السامع

[1]- ابن الجوزي، صحيح البخاري مع كشف المشكل، حقّقه و رتّبه و فهرسه مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 1429ه-2008م، ج3، ص425.

[2]-علي الإدريسي، المرجع السابق، ص84.

فتمكّنه في نفسه مع صورة مقبولة ومعرض حسن»[1]، وفي تعريف آخر له قال:«البلاغة التقرّب من المعنى البعيد و التباعد عن حشو الكلام، و قرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد إلى الحجّة و حسن الاستعارة»[2].

بهذا نجد أنّ كلا التعريفين يحملان مفهوما واحدا للبلاغة و هو الوضوح و الكشف عن المعنى. و إلي جانب أبو هلال العسكري يذهب أيضا الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" حيث أشار إلى الوظيفة الإقناعيّة و الإفهاميّة للبلاغة العربيّة و ذلك حين أورد عن ابن المقفّع أنّه قال:«البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت و منها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، و منها ما يكون في الاحتجاج،ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون رسائل»[3]. كما تتجلّي الوظيفة الإقناعيّة والإفهاميّة للبلاغة العربيّة عند الجاحظ في اهتمامه "بالفعل اللّغوي" حيث اعتبره الأساس في كلّ عمليّة بيانيّة حجاجيّة، والكلام في نظره لا يمكن تمييزه عن البلاغة فهو يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: الأولى هي الوظيفة الخطابيّة و ما يتّصل بها من إلقاء و إقناع و احتجاج و منازعة و مناظرة، و الثانية "البيان" و "التبيين" أو الفهم و الإفهام[4].

و مفهوم البيان عنده تتنازعه وظيفتان أوّلهما إفهاميّة و الثانية حجاجيّة، و نظرا للأهميّة الكبيرة التي تحملها البلاغة، فإنّها تكتسح ميادين أدبيّة كثيرة، فلا خطاب و لا رسالة ولا شعر...إلّا و تتجلّي فيه لمسات بلاغيّة تساهم في استمالة القارئ منذ الوهلة الأولى التي يتناول فيها هذا الموضوع.

تجدر الإشارة كذلك إلى أنّه بالإضافة إلى هذه المفاهيم المختلفة للبلاغة، هذه المفاهيم التي تؤكّد على حجاجيّتها و دورها الإقناعي، ورد مصطلح الحجاج في اصطلاح العرب القدماء وفي كتب البلاغة العربيّة القديمة و ذلك في كتاب الصناعتين لأبي هلال

[1]-أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي محمّد البحاوي و محمد أبو الفضل، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص10.
[2]-المصدر نفسه، ص47.
[3]-الجاحظ، البيان و التبيين، ج1، ص115-116.
[4]-المصدر نفسه، ص220.

العسكري، حيث خصّص له فصلا و هو الفصل الحادي و الثلاثون تحت عنوان "الاستشهاد" و "الاحتجاج"، و قد شرحه بقوله:«وهذا الجنس كثيرا في كلام القدماء و المحدثين و هو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، و مجراه مجري التذبيل لتوليد المعنى، و هو أن تأتي بمعنى و تؤكّده بمعنى آخر مجري الاستشهاد على الأوّل و الحجّة على صحّته»[1].

و عن ورود الحجاج في اصطلاح العرب القدماء ضمن ما طرقوه من أبواب البحث، فإنّه كثر في مرادفه لفظ آخر و هو "الجدل"، ومن أمثلة ذلك أنّ أبا الوليد الباجي أسمى كتابه وهو في علم أصول الفقه "سبيل المنهاج في ترتيب الحجاج، مستخدما في العنوان لفظة الحجاج ناعتا إيّاه في المقدّمة بكونه كتابا في الجدل[2]،حيث قال: «أمّا بعد فإنّني لمّا رأيت بعض أهل عصرنا على سبيل المناظرة ناكبين، و على سنن المجادلة عادلين[....]أزعمت على أن أجعل كتابا في الجدل*»[3].

أمّا أبي الحسن إسحاق ابن وهب فقد قدّم في كتابه " البرهان في وجود البيان" تعريفا دقيقا للجدل و المجادلة، "إذ جعل منه خطابا تحليليا إقناعيّا ميّز من خلاله بين أنواع الجدل و قسّمه إلى جدل محمود و آخر مذموم كما تحدّث في مبحث من مباحثه حول" أدب الجدل" و اشترط مجموعة من الشروط التي يجب توفّرها في المحاج كألا يقبل قولا إلّا بالحجّة ولا يردّه إلّا لعلّة و لا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله ولا يستصغر خصمه و لا يتهاون فيه..."[4].

بناء على ذلك فإنّ كتب علوم القرآن منها "البرهان في علوم القرآن" لبدر الدين الزركشي (ت794هـ/139م)، و "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي(ت911هـ/1505م) حين تتعرّض (لجدل القرآن) باعتباره علما من علومه، تقيم

[1]-أبو هلال العسكري، المرجع السابق، ص416.
[2]- عبد الله صولة، المرجع السابق، ص84.
*-وحدة الجدل عنده و هو الأصولي، تردد الكلام بين اثنين قصد كلّ واحد منها تصحيح قوله و إبطال قول صاحبه(الباجي، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1987، ص11.
[3]-عبد الله صولة، المرجع السابق، ص84.
[4]-حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، دراسات نظريّة و تطبيقيّة، في البلاغة الجديدة، ج4، ص9.

أحد اللّفظين مقام الآخر (الجدل مقام الحجاج أو العكس). و بذلك يتّضح أنّ أغلب استعمالات الجدل كانت تعنى في مؤلّفات القدماء معنى "الحجاج"، فضلا عن ذلك فقد ظهرت اصطلاحات أخرى تداخلت مفاهيمها مع الحجاج، بل عدّها الكثير من القدماء من أنواع الخطاب الحجاجي، من مثل "المناظرة" و "الحوار"، إذ يتوجّه فيها المتكلّم إلى المتلقّي بهدف تغيير رأيه أو إقناعه بصحّة قضيّة ما، فيكون غرضه الإقناع و التواصل[1]. و ربّما كانت المحاورات تجري بين شخصين أو أكثر على شكل سؤال و جواب أو تبادل للحديث في غير عنف أو جدل فهي أقّل شدّة من المناظرات التي تكون في الغالب بصيغة الرد ودحض الأدلة و تنفيذ الحجج و إبطال البراهين و الجدل العقلي و الميل إلى الإقناع أو الدفاع عن القضية أو وجهة نظر ما[2]، و المناظرة أقرب صورة للحجاج من المحاورة،إلاّ أنّ كلاهما فنّ من فنون الأدب.

و من جهة أخرى نجد ابن الأصبع المصري(ت 654ه/1256م) في كتابه "بديع القران" قد تناول اصطلاحا آخر يتقارب في مفهومه الجدل كما ورد عند الزركشي والسيوطي. هو مصطلح "المذهب الكلامي*"، و عدّه من بلاغة القران، و قال في تعريفه «إنّه احتجاج على ما يريد إثباته بحجّة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام و منه نوع منطقي تستنتج فيه النتائج الصحيفة من المقدمات الصادقة»[3].

هكذا يظهر لنا فيما سبق أنّ هذه الألفاظ الثلاثة :(الحجاج، الجدل، المذهب الكلامي) تبدو مترادفة كأضمر ما يكون في كلام ابن القيّم الجوزية (ت751ه/1350م) على الاحتجاج النظري في القرآن[4].

[1]-قحطان صلح الفلاح، مدخل إلى الحوار و المناظرة في العصر العباسي، المعرفة، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، العدد 551، السنة شعبان1430ه-2009م، ص99.

[2]-المرجع نفسه، ص100.

*-المذهب الكلامي هو ابتداع الجاحظ(و هو قول ابن المعتز ورد في:كتاب عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصها لأسلوبية، هامش ص20.

[3]-ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، تقديم و تحقيق حفني محمّد شرف، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط1، 1377ه-1957م، نقلا عن عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، ج1، ص17-18.

[4]-عبد الله صولة، المرجع السابق، ص18.

كما لا ننسى أن نشير إلى ابن الأثير الذي قد ذكر "الحجاج" في كتابه "المثل السائر" و لو لم يكن بمسمّاه، لكنّه أوضح أنّه ينبني على إستراتجية متكاملة العناصر بكل ما تقتضيه هذه الإستراتجية من المخادعة بالحجّة و التعجب بالكلام و التأثير في النفس إلى حد الإقناع و الإذعان"[1].

و هنا نستخلص أن الحجاج عند القدماء قد أطلقت عليه تسميات متعدّدة، إلاّ أنّها تدّل على مفهوم واحد و هو"محاولة إذعان الخصم أو السامع و إخضاعه من أجل استمالته و إقناعه بصّحة القضية أو سداد رأي".

من خلال هذا كله يمكن أن نلمح أنّه هناك ارتباط شديدين البلاغة و الحجاج و هذا من زاوية البلاغة العربية القديمة، ناهيك ، بالدراسات الغربية الحديثة التي أولت لهذين المصطلحين عناية كبيرة أمثال بيرمان، تيتيكا، مايير، ديكر و تولمين.. و غيرهم، و ذلك من زاوية البلاغة الجديدة.

لقد اندرج الحجاج قديما في الخطابة و البلاغة، و كثيرا ما ورد في الثقافتين العربيّة و الغربيّة تسميات مختلفة جاء بمعنى الجدل، التناظر...و ما إلى ذلك، انطلاقا من مؤلّفات اليونان إلى أهمّ ما ورد عند العرب، و على ذلك سنتعرّض إلى تطوّره التاريخي عند الغرب و العرب.

[1]- محمود المصفار، سميائية القرآن بين الحجاج و الإعجاز، وحدة تحليل الخطاب، نشر و توزيع شركة المني صفاقس، تونس، الثلاثية الرابعة، 2008،ص60.

3ـ المسار التاريخي للحجاج عند الغرب قديما:

3ـ1ـ الحجاج عند السفسطائيين:

يعود الفضل الأوّل في إرساء الخطابة و استنباط فنونها إلى اليونانيين ق.م، و يعود اهتمام اليونانيين بالخطابة لارتباطها بطبيعة الحياة اليونانيّة، التي غلبت عليها المجادلات الفلسفيّة و السياسيّة و شيوع حالة الحريّة الفرديّة، و قد كان لظهور مجموعة من المتكلّمين الذين عرفوا بالسفسطائيين بتميّزهم بالقدرة على الخطابة المؤثّرة و للإلقاء الدور الكبير في تطوّر الخطابة اليونانيّة، فقد غيّر هؤلاء مفهوم الفلسفة من اهتمامهم بالطبيعة و بالإنسان ، وقد عبّروا عن هذا التغيّر باهتمامهم الكبير باللّغة و البلاغة و الخطابة و يعتبرون أوّل الواضعين لعلم الخطابة و قد عبّر عليها جورجياس (Gorgias) بقوله:«الخطابة هي الفنّ الحقيقي و الأسلوب الصحيح في التفكير»[1]. كما أصبح الكلام عندهم فتّانا و مخادعا، بعد أن كان موحّدا للحقيقة و مقدّما للمعرفة و أصبح أيضا وسيلة إقناع و اقتناع، تحملك على الاعتقاد و الظنّ بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحقّ و الباطل[2]، فالسفسطائيّون يجعلون اللّغة وسيلة للتمويه و التغليط فهم لا يهتمّون بالأسس التي ينبغي أن تعتمد كي يقول الإنسان الحقيقة أو يوفّر أكثر الضّمانات للاقتراب منها[3].فهم يهتمّون بما يجعل اللّغة جميلة تطرب السامع و تأثّر فيه دون الاهتمام بكيفيّة بناء الحجّة، فالحكمة عندهم هي قدرة المتكلّم في فرض رأيه و مصالحه سواء كان حقيقة أم كذبا، فالرّأي الصحيح عندهم هو الذي يمكن أن يبرهن و يقتنع النّاس به، فالإقناع هي الغاية القصوى بالنسبة إلى السفسطائيين، وبرهن في مذهبهم هي أقنع[4]. و الإقناع السفسطائي هو إقناع ينطلق منذ البدء بعدم اقتناعه بحجّته، إلّا أنّه مقتنع في الآن نفسه بإقناع الغير به.

---

[1]-الزاوي بعورة، الفلسفة و اللّغة نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة العاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص12.

[2]-المرجع السابق، ينظر، ص13.

[3]-فريق البحث في البلاغة و الحجاج، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية، تونس.

[4]-حسين حرب، الفكر اليوناني قبل أفلاطون، سلسلة الفكر اليوناني، دار الفارابي، 1979، ص101.

كما كان السفسطائيّون يمارسون الحجاج للحصول على سلطة المجتمع و يعلّمون الشباب الخطابة و يهيئونهم بذلك على السلطة وكانوا يتقاضون مالا وفيرا مقابل ذلك، فكان السفسطائي يشتغل بالتعليم كما قال "بروتاغوراس":«أوافق على أنّي سفسطائي، ووظيفتي هي تعليم النّاس»[1]. فقد أولى السفسطائيون اهتماما كبيرا بتعليم طلبتهم بلاغة الكلام و الإلقاء والقدرة على الجدل خاصّة في الفترة التي كثر فيها التنافس على السلطة، وفتح المجال لعامّة الشعب في حقّ الترشّح لها، فكانوا يعلّمون الشباب فنون القول و حيله، و كيفية حسن انتقاء الكلمات للتأثير في المتلقّي«بوصفهم للكلمة أنّها تملك من القوّة ما يجعلها تقوم بأدوار عديدة إذا أحسن اختيارها من بين الاختيارات العديدة الممكنة، حيث يرون أنّ كلّ ملفوظ هو احتمال، و أنّ الملفوظ في الوقت نفسه لابدّ أن ينطوي على بنيات تحقّق الإقناع التامّ»[2].

فالسفسطائيّون يعتقدون أنّ حسن انتقاء الكلمات و الألفاظ القويّة لها أثر سحري في تخدير العقول«فسلطان الكلام ليس فوقه سلطان، و قوّة الحجاج ليس ينكرها أحد فكيف إذا اجتمعت القوّتان خاصّة و أنّ قوّة الحجاج من قوّة الكلمات»[3]، و القوّة التي رآها السفسطائيون في اللّغة هي قوّة بلاغيّة يرتجى منها المتعة لتركيزهم على الجماليّات والفنّيات للزخرفيّة التي تنمّق القول، و تجعل السامع ينجذب إليها، و بالتّالي يحقّق فيه الإقناع فيه ، دون مراعاة إن كانت تلك الفكرة حقّا أم باطلا«فتتحوّل اللّغة إلى وسيلة مغالطة و فنّمن فنون التزييف، و يتمّ إقحام الكلام البشري في استراتيجيات الخداع و التضليل»[4]، فقد انتهج السفسطائيّون باب التلاعب بالألفاظ و استخدام تراكيب و حجج واهيّة و خدّاعة لأجل التأثير و إقناع الآخر، فغايتهم الوحيدة هي "الإقناع". و لا يبالون إن كانت حقيقة أم باطلا، و هذا ما يجعل المتلقّي ساذجا مغفّلا، فالسفسطائي«لا يهتمّ بالحقيقة بل المهمّ عنده هو إدخال البهجة على نفوس السامعين و إن كان ذلك من طريق كذب»[5]، فقد روى عن أحدهم أنّه

[1]-فريق البحث في البلاغة و الحجاج، المرجع السابق، ص61.
[2]- هدية جيلي، "ظاهرة الإنزياح في سورة النمل"، دراسة أسلوبية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007، ص57.
[3]-أبو بكر العزاوي، اللّغة و الحجاج، العمدة في الطبع، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006، ص129.
[4]-زهير الخويلدي، فنّ المغالطات و الحجج الباطلة.
[5]-هدية جيلي، المرجع السابق.

قال:«ليس من الضروري أن تعلّم شيئا عن الموضوع حتّى تجيب و قال:إنّ في استطاعته أن يجيب كلّ سائل ما يسأل، فهم يعلمون كيف يكسبون الخصم بشتّى الوسائل كاللّعب بالألفاظ، الاستعارات و الكنايات الجذّابة بخداع المنطق و تمويه الحقيقة، ومن أجل ذلك سمي اللّعب بالألفاظ و التهريج في الحجج(سفسطة)»[1].

إلّا أنّ إقناع المتلقّي لا يكون باستخدام لغة جميلة رنّانة فحسب، إنّما يشترط فيها أن تحمل في طيّاتها حجاجا و من ذلك " الاستعارة الحجاجيّة" أمّا تلك التي لا تخدم في المتلقّي و لا تغيّر في موقفه فهي مجرّد تلاعب بالألفاظ غرضه إظهار البراعة و التمكّن من استخدام اللّغة و منها " الاستعارة البديعيّة "[2].

من خلال ما أورده السفسطائيين، نفهم أنّ نظرتهم للحجاج تكمن في براعتهم الحجاجيّة من جهة، و البديعيّة من جهة أخرى، باستعمالهم حججا واهية خداعة للهروب من الحقيقة و ذلك عن طريق أساليب بلاغيّة تأثّر في السامع.

[1]-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، قصّة الفلسفة اليونانية، مطبعة الجنّة للتأليف و الترجمة و النشر، ط5، 1964، ص99.
[2]-ينظر، أبو بكر العزاوي، المرجع السابق، ص108.

3_2_الحجاج عند أرسطو:

يعتبر أرسطو المرجع الأساسي في عمليّة الحجاج لمن جاء بعده غربا أو عربا ، وذلك لاهتمام اليونانيّين القدامى بفنون الكلام لاسيما الخطابة و الشعر، فنجد منهم من نظّر لهما و أرسي قواعدهما الفنيّة و العقليّة، و كان أرسطو ممّن نظّر الفنّين معا، حيث انطلق في تنظيره للخطابة ممّا وضعه "سقراط"، حيث جعل لها خطّتين جدليّة و نفسيّة، و رأى أنّه لابدّ للخطابة الجدليّة من أمرين هما:التركيب الذي يجمع به الخطيب نواحي الفكرة المتفرّقة ليتمكّن من تحديد الكلام، و التحليل الذي يردّ الفكرة إلى آراء جزئيّة، و سمي أصحاب القدرة على التحليل و التركيب " جدليين"، فالخطابة عنده نوع من الجدل، أو هي الجدل بعينه[1]، بينما ربط أرسطو بين خاصيّة الكلام و التعبير عند الإنسان و بين الإقناع، حيث الإنسان يبحث بطبعه عن الإقناع[2].

يجد أرسطو أنّ الخطابة و الجدل متّصلان ببعضهما و يتّحدان في موضوعاتهما«لأنّها أمور يمارسها كلّ النّاس و يعرفونها في صورها المتّحدة»[3]، و في سبيل اللّجوء إليهما«إنّ كلّ النّاس يلجئون للخطابة و الجدل بدرجات متفاوتة، و كلّ إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجّة من الحجج أو يدعمها»[4]، و منه نجد أنّ الحجج في ذاتها وسيلة للإقناع.

قد ميّز أرسطو بين ثلاث مستويات من الحجج (الإيتوس، الباتوس، اللوغوس) في علاقتهما بالأفعال الثلاث للفعل الخطابي:الخطيب، المستمع، الخطاب.

- **الإيتوس:** يصف الخصائص المتعلّقة بشخصية الخطيب، و الصورة التي يقدّمها عن نفسه.

[1]-هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه و خصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين، جامعة ورقلة، 2003، ص16.
[2]-المرجع نفسه.
[3]-المرجع نفسه.
[4]-المرجع نفسه، ص16.

- **البـــاتوس:** و يشـكّل مجموعـة مـن الانفعـالات يرغـب الخطيـب فـي إثارتهـا لـدى المستمعين.
- **اللوغوس:** يمثّل الحجاج المنطقي الذي يمثّل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي فيرتبط بالقدرة الخطابيّة على الاستدلال و البناء الحجاجي[1].

كما نجده قد فصل في قضية القائل و المقول إليه و فعل بناء القول الحجاجي، فقد فرّق بين المناقشة الجدلية و الخطبة فوجد بينهما اختلافا في خصوص إسهام المقول إليه في فعل بناء القول الحجاجي.

فالمناقشة الجدلية حسب أرسطو هي«جنس حجاجي ينشئه طرفان اثنان فهذا هو الشرط الأساس لتقديم مناقشة جديدة، فهذان الطرفان يتقاسمان في بناء المناقشة فعلين أساسيين و هما السؤال و الجواب و يسمى أرسطو أحد الطرفين السائل و الآخر المجيب، فهما يكونان متلازمين في فعلي السؤال و الجواب،أن السائل هو الطرف المهم في الجدل»[2]. أمّا الخطبة فلا تقوم على السؤال و الجواب في رأيه فهي«قول ينشئه الخطيب وحده والغرض المقصود منه في كلّ الحالات هو الإقناع»[3].

كما ميّز أرسطو بين الحجاج الجدلي و الحجاج الخطبي فيرى أنّ الفرق بينهما يمكن في الاتّجاه، حيث أنّ الأول تبكيتي(refutatif) و الثاني إقناعي (persuasif) ، «فالحجاج الجدلي ينطلق من قضيّة يجهد المجيب في حفظها، و يبحث السائل، عودا على بدء، عن القياس (أو الأقيسة) النافي لها و يبنى استراتيجية لها يرغم المجيب على أن يسلّم له بنفسه مقدّمات ذلك القياس النافي فهو حجاج يفكّ الإقناع إن جاز القول، و في نهاية الجدل لا يكون المجيب مقتنعا بالضرورة بما قاله السائل»[4]، أي أنّ المجيب يبذل كل الجهد في حفظ القضية التي يختار، و في مقابل ذلك يبذل السائل كلّ الجهدّ في إبطال تلك

[1]-محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005، ص18.
[2]-حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010.
[3]-المرجع نفسه، ص126.
[4]-المرجع نفسه،ص132.

القضية و«المقصود الأخير من هذه الممارسة هو الإبطال لا الحفظ، أي النفي لا الإثبات»[1]، و هذا ما بيّن أنّ الجدل استدلال في اتّجاهين "متقابلين" (opposé)إلى التضاد- بخلاف البرهان الذي هو استدلال أحادى الاتّجاه في فحص جوانب المعضلة(aporie)، و هذا الفرق بين البرهان الحجاج يقوم عند أرسطو على مقابلة "ضروري/ممكن" و إذا كان البرهان أحادي الاتّجاه واقعا بالضرورة تحت حكم الصدق أو الكذب فإنّ الحجاج متعدّدة الاتّجاه واقعا بالضرورة تحت حكم«الأقرب إلى الصديق»[2]. أمّا الحجاج الخطبي، فهو حجاج يقصدّ به الخطيب إلى أن يقنع الجمهور بحكم ما»[3]. فهو يستبعد المساء له و يبني الاعتقاد، مّما يجعله حجاج إقناعي.

1ـمراحل إنتاج القول الحجاجي:

المراحل الأساسيّة لإنتاج القول الحجاجي عند أرسطو ثلاثة و قد رتّبها بحسب تتاليها في زمن الإنشاء على النّحو التّالي:[4]

-المرحلة الأولى: سمّاها (eurésis) و تعرف في اللّاتينيّة (inventio) و هي مرحلة البحث عن مواد الحجاج و لم يستعمل الشرّاح من فلاسفة العرب كلمة مخصوصة توافق المصطلح الأرسطي، أمّا بدوي استعمل في ترجمته عبارة "مصادر الأدلّة".

-المرحلة الثانية: سمّاها أرسطو (taxis) و تعرف في اللاتينية (dispositio) و استعمل الشرّاح من فلاسفة العرب كلمة "ترتيب" مقابلا لها أمّا بدوى فاستعمل عبارة "ترتيب أجزاء القول".

-المرحلة الثالثة: سمّاها أرسطو (lexis) و تعرف في اللاتينية (elocutio) و لقد استعمل ابن رشد كلمة "فصاحة" مقابلا لها و استعمل ابن سينا العبارة "التحسينات و اختيار الألفاظ للتعبيرات" أمّا بدوى فاستعمل كلمة "أسلوب"، و أضاف أرسطو إلى المراحل الثلاث السابقة

[1]-المرجع السابق، ص135.
[2]-المرجع نفسه.
[3]-المرجع نفسه، ص132.
[4]-فريق البحث في البلاغة و الحجاج، المرجع السابق، ص173-174.

و هي مراحل خاصّة بإنشاء القول مرحلة رابعة سمّاها (hypocrisis) و تعرف في اللاتينية (actio) و استعمل ابن سينا في مقابلها«الأخذ بالوجوه و النّفاق» على أنّ كلمة (hypocrisis) في الإغريقية ليس فيها معنى قدحي و كانت تستعمل في المسرح و تدلّ على تقمّص الممثّل للشخصية التي يؤدّي دورها، أمّا ابن رشد فاستعمل في مقابل المصطلح الأرسطي عبارة "الأخذ بالوجوه" قال في تفسيرها:«قبل أن تقول في الألفاظ ينبغي أن تقول في الأمور المستعملة مع الألفاظ ينبغي أن تقول في الأمور المستعملة معا الألفاظ المعونة في وجوده لتفسير و إيقاع التصديق و بلوغ الغرض المقصود»[1].

[1]-المرجع السابق، ص175.

4ـ المسار التاريخي للحجاج عند العرب حديثا:

تعتبر الآفاق و المشاريع الحجاجيّة العربية الحديثة آفاقا معتبرة، فقد جاءت مسطرة في دراسات و أبحاث و كتب و ترجمات للكتب العربيّة فلم تأت الدّراسات العربيّة الحديثة بآراء مختلفة عن آراء الدارسين الغرب، ربّما إلّا في بعض التطبيقات التي تتباين و تختلف باختلاف النصوص، و نقتصر على بعض الباحثين العرب الذين أضافوا وتوسّعوا في النظريّة الحجاجيّة.

4ـ1ـ الحجاج عند "طه عبد الرحمن":

يعتبر "طه عبد الرحمن" من أبرز المفكّرين العرب الذين عالجوا مسألة الحجاج ، وتمتاز نظرته للحجاج بطابعها الفلسفي كونه أستاذا للمنطق و فلسفة اللّغة من جهة ، ولاتّكائه على أصول تعتمد الفلسفة و المنطق كالمؤلّفات العربيّة القديمة، و الغربيّة القديمة و الحديثة من جهة أخرى، فقد زاوج بين القديم العربي و القديم الحديث الغربي.

يصف طه عبد الرحمن "الحجاج" أبرز آليّة لغويّة يستخدمها المرسل للإقناع، فيعدّه إستراتيجية إقناعيّة و عمليّة خطابية، يهدف من خلالها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كلّ منهما شرطا كافيا و مقبولا للفعل أو الترك[1]، و ذلك من خلال كتابيه:اللّسان و الميزان أو التكوثر العقلي و في أصول الكلام و تجديد علم الكلام.

يضع "طه عبد الرحمن" نظريّة للحجاج انطلاقا من كونه صفة للخطابة:«إنّ الأصل في تكوثر الخطابة هو صفته الحجاجيّة بناءا على أنّه لا خطاب بغير حجاج»[2]. و من هنا ينطلق في تعريف الخطاب تعريفا خاصّا ينبني على قصدين معرفين هما:«قصد الادّعاء» و«قصد الاعتراض»، فالأوّل يعني:«الاعتقاد الصريح للخطاب لما يقول من نفسه و تمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، إذن فالمدّعي هو عبارة عن المخاطب الذي

[1]- حمودي محمّد، الحجاج و استراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن، مقاربة ابستمولوجية، جامعة مستغانم.
[2]-طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1998، ص213.

ينهض بواجب الاستدلال على قوله»[1]، أمّا قصد الاعتراض، يكون من المخاطب أو المنطوق له،«و هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدّعي»، و من هنا يصح أن يكون المنطوق به خطابا حقّا، أي بتوفّر الادّعاء والاعتراض، أو الحجاج الذي يعرّفه بقوله:«إذا حدّ الحجاج أنّه كلّ منطوق به موجه إلى الغير لا فهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[2]، ويسميه كذلك العلاقة الاستدلالية البانية لحقيقة الخطاب، و هنا يشير طه عبد الرحمن إلى أن طبيعة الخطاب لا تتحدّد فقط في العلاقة التخاطبية بل إن للعلاقة الاستدلالية أيضا دور في ذلك إذ:«لا خطاب بغير حجاج، و لا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة "المدعي" و لا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المعترض»[3]، أو منه يتّضح لنا أنّ الحجاج عنده يأخذ كما استعرض أيضا«طه عبد الرحمن» أنواع الحجاج وصنّفه إلى:[4]

1-الحجاج التجريدي: يعتبر من المراتب الدنيا للحجاج، و هو ينبني على اعتبار الصورة وإلغاء المضمون و المقام.

2-الحجاج التوجيهي: و هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدلّ، و التوجيه هنا هو إيصال المستدل لحجته إلى غيره، و هذا النوع الحجاجي تدعمه النظرية اللّسانية المعروفة باسم«نظرية أفعال الكلام»، و التي تردّ الأفعال إلى القصد و الفعل، و هما عماد التوجيه.

3-الحجاج التقويمي: هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدلّ على أن يجرّد من نفسه ذات ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه، أو ما يسمّى بالتشخيص(في النظرية اللّسانية) أي أنّه ينبني أصلا على اعتبار فعل الإلقاء و فعل التلقّي معا على سبيل الجمع والاستلزام[5].

---

[1]-المرجع السابق، ص225.
[2]-المرجع نفسه، ص226.
[3]-المرجع نفسه.
[4]-هاجر مدقن، المرجع السابق، ص36.
[5]-طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص227،228.

و يفرّق«طه عبد الرحمن» بين الحجاج و البرهان، بقوله أنّ البرهان ينبني على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق و العمل بالمقاصد أي أنّ الحجاج يقوم على اعتبارين:(اعتبار الواقع) آو طلب معرفة الواقع، و(اعتبار القيمة) أو معرفة الواقع و طلب الاشتغال بقيمته، كما يرى له أنّ الكلام و الخطاب و الحجاج، أسماء مختلفة لمسمّى واحد، و هو«الحقيقة النطقية الإنسانية»[1]، غير أنّ كلّ واحد من هذه المفاهيم الثلاثية اختصّ بالدلالة على إحدى العلاقات المكوّنة لهذه الحقيقة، و هي: العلاقة التخاطبية و العلاقة الاستدلالية و العلاقة المجازية، فقد لاحظ أيضا طه أنّ الحجاج يدلّ على العلاقة المجارية، من حيث إنّ المجاز هو الأصل في الحجاج، فالذي يحدّد ماهية الحجاج هو العلاقة المجازية، و ليس العلاقة الاستدلالية و حدها و حتّى إن تضمّن الحجاج علاقة استدلالية فينبغي إرجاعها إلى العلاقة المجازية، «إذ حدّ المجاز أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لا فهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها»[2]، ومنه يتّضح لنا أنّ العلاقة المجازية هي الأصل في الحجاج، العنصر في ضعف الحجج أو في منعها القوّة التي تدعم موقف المرسل لتحقيق الإقناع، كما ركّز طه عبد الرحمن على السلم الحجاجي بوصفه عمدة في الحجاج، و ذكر أيضا أنواع الحجاج ومراتبه ، و درس الاستعارة من وجهة نظر حجاجيّة موصّلا لها كما وردت عند عبد القاهر الجرجاني.

و لقد أورد كذلك في كتابه«في أصول الحوار و تجديد علم الكلام»، خاصية أخرى للحجاج و هي الحوارية، و قد جعلها في ثلاث مراتب، (الحوار، المحاورة، التحاور)، كما عالج أيضا المنهج الكلامي في ممارسة المتكلمين للحوار »[3].

4-2-الحجاج عند أبو بكر العزاوي:

[1]- طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص235.
[2]-المرجع نفسه، ص231.
[3]-ينظر، طه عبد الرحمن، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، ص31، 32

يعدّ "الدكتور أبو بكر العزاوي" من أصحاب المشاريع الحديثة للدراسات اللّغويّة والحجاجّية خصوصا، و ذلك لاطّلاعه على النّظريات الغربية، و نجد من أهمّ مشاريعه الحجاجيّة مجموعة من الكتب والمقالات أهمّها اللّغة و الحجاج، الخطاب و الحجاج، الحوار و الحجاج و الاختلاف، وفيما يخصّ كتابه "اللّغة و الحجاج" فقد حاول الإحاطة بتحديدات أساسيّة لنظريّة الحجاج اللّغويّة»[1]، وذلك بدراسة ووصف الجوانب الحجاجيّة للّغة العربيّة.

يرى "الدكتور أبو بكر العزاوي" أنّ نظريات الحجاج تتعارض مع كثير من النظريات و التصوّرات الحجاجيّة الكلاسيكيّة التي تعدّ الحجاج منتميا إلى البلاغة الكلاسيكيّة (أرسطو)، أو البلاغة الحديثة (برلمان، تيتيكاه، ميشال ماييرر)[2]، فأساس هذه النظريّة حسبه تنطلق من أقطاب مدرسة "أكسفورد" و نعني كلّ من "أوستين" و "سيرل" اللّذين قاما بتقديم اللذين قاما بتقديم أبحاث حول مفهوم الأفعال اللّغويّة، و قد قام ديكرو بتطويرها، فيعدّ العزاوي اللّغوي الفرنسي "ديكرو مؤسّس هذه النظريّة، التي هي بدورها نظريّة لسانيّة تهتم بالوسائل اللّغويّة، كما أنّها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤدّاها:«أنّنا نتكلّم عامّة قصد التأثير»[3].

هذه النظريّة تريد أن تبيّن أنّ اللّغة تحمل بصفة ذاتيّة و جوهريّة (intrinsèques) وظيفة حجاجيّة، كما اعتبر أنّ المراد من مفهوم الحجاج هو ما أسّس على بنية الأقوال اللّغوية وعلى تسلسلها و اشتغالها داخل الخطاب»[4]، فالحجاج هو تقديم الحجج و الأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة، و يوضّح هذا بالأمثلة التاليّة:[5]

-أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

-الجوّ جميل، لنذهب إلى النزهة.

[1]-حسين بوبلوطة، المرجع السابق.
[2]-أبو بكر العزاوي، المرجع السابق، ص14.
[3]-المرجع نفسه.
[4]-ينظر، أبو بكر العزاوي، المرجع السابق، ص17.
[5]-المرجع نفسه.

تتكوّن هذه الجمل من حجج و نتائج، و يتمّ تقديم الحجّة لتؤدّي نتيجة معيّنة،فالتعب مثلا في الجملة الأولى يستدعى الراحة و يقنع النّفس أو الغير بضرورتها.

4-3-الحجاج عند محمّد العمري:

يعتبر الدكتور"محمّد العمري" من البلاغيين المعاصرين الأوائل الذين اهتمّوا بالبحث في الدرس البلاغي العربي، من خلال مسيرته الطويلة في مجال التدريس و البحث الأكاديمي، توجّها بالعديد من الأعمال الهامّة، بدءا من البحث في مظاهر الإقناع في الخطابة العربيّة القديمة من خلال مؤلّفه " في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري لدراسة الخطابة العربيّة، الخطابة في القرن الأول نموذجا".

يطلق "محمّد العمري" اسم "الخطاب الإقناعي" على الحجاج في كتابه "في بلاغة الخطاب الإقناعي"، في هذه الدراسة محاولة لتتبّع الخطاب الإقناعي (الحجاج) في المتن الخطابي العربي في القرن الهجري الأول، فقد نظر إلي الحجاج بطابع إقناعي، و هذا تأثّرا بالفلاسفة اليونانيّين، و نجد هذا واضح في كتابه إذ يقول:«لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة»[1]. كما اعتمد أيضا على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب الذي يربطها كذلك بالإقناع فيقول:«وبدأ الحنين من جديد إلى "ريطورية" أرسطو التي تتوسّل إلى الإقناع في كلّ حالة على حدّة بوسائل متنوّعة حسب الأحوال»[2].

لم يقتصر "محمّد العمري" على الاعتماد على الأسس الأرسطية لبلاغة الخطاب فحسب ، إنّما تجاوز ذلك للاعتماد على الخطاب عموما، و لاسيما الحجج و البراهين

[1]-محمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، ط2، 2002، ص13.
[2]-محمّد العمري، المرجع السابق، ص14.

الخطابية، «إلّا إنّه ركّز على عنصرين اثنين من عناصر الإقناع في البلاغة العربيّة القديمة و هما:المقام و صور الحجاج (القياس، المثل،الشاهد) إضافة إلى عنصر الأسلوب»[1].

صنّف المقامات إلى:

1-مقامات الخطابة السياسية: يندرج فيها:[2]

1. جميع الخطب المتعلّقة بالعمل في سبيل بناء الدولة أو بسط نفوذها، أي حين تكون المواجهة بين المسلم و غير المسلم.
2. خطب الصراع حول الخلافة و الحكم داخل المجتمع الإسلامي.

و منه نجد أنّها تصنيف حسب الخليفة و محاوريه، و الحوار هنا قسمان إمّا:بين الأنداد،و إمّا بين الراعي و الراعية و تقلّ فيها المواعظ، الوعد، الوعيد،...الخ.

2-مقامات الخطابة الاجتماعية و شؤون الحياة: و يمكن تصنيف هذه الخطب إلى صنفين:[3]

1. خطب في موضوعات اجتماعيّة تتناول العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع مثل:خطب الأملاك، و الصلح و المخاصمات القضائيّة وهي في أغلبها ذات طبيعة موضوعيّة ، وتعتمد الحجّة المقنعة والتأثير الأسلوبي.
2. خطب ذات طبيعة وجدانية هدفها المشاركة و الاشتراك في المسرّات و الأحزان، كالتعزية و التهنئة و وصف المشاهد و البلاد، تعتمد على الاستمالة أكثر من الحجّة غالبا.

وجعل الحجاج في صور ثلاث:[4]

1. القياس أو القياس الخطابي: جمع أرسطو مجموعة من البراهين الخطابية تحت ما ترجم بالقياس المضمر enthymème فيقوم القياس المضمر أو القياس الخطابي على

[1]-هاجر مدقن، المرجع السابق، ص37.
[2]-محمّد العمري، المرجع السابق، ص50.
[3]-محمد العمري، المرجع السابق، ص62.
[4]-المرجع نفسه، ص71.

الرأي،وعلى هذه الاحتمالات التي تكفي في معالجة الأمور و منها: التعارض و التضاد،مثلا قول الحجّاج:«زعمتم أنّي ساحر، وقد قال اللّه تعالى:«و لا يفلح الساحر»، و «قد أفلحت». و تخريجه: ـلا يفلح الساحر.

ـأفلح الحجّاج.

إذن ليس الحجّاج ساحرا،(أو هم كاذبون، لأنّ تصديقهم يؤدّي إلى تكذيب اللّه، واللّه أكبر منهم).

2-المثل: يقوم المثل في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق، فهو استقراء بلاغي، و المثل حجّة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدّمتها، ويراد استنتاج نهاية احديهما بالنّظر إلى نهاية مماثلتها»[1]، و يعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحقّقه من إقناع و تأثير.

3-الشاهد: هو من الحجج الجاهزة أو غير الصناعيّة كما يسمّيها "أرسطو"، و يجمع الأمثال و الأبيات الشعريّة و الآيات القرآنيّة، و كان للشواهد ثلاث استعمالات في الخطابة العربيّة القديمة تمثّلت في:

1. الاحتجاج لقضايا مختلف فيها.
2. تمثيل حالة مشابهة.
3. الاستئناس أو خلق الجوّ الديني في الخطبة، لتحقيق الإثارة أو حسن الموقع في النّفس.

[1]-المرجع السابق، ص82.

5ـ المسار التاريخي للحجاج عند الغرب حديثا:

5ـ1ـالحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه(البلاغة الجديدة):

تأسّست البلاغة الجديدة أو البلاغة الحجاجيّة منذ1958 مع رجل القانون الشيكي شايم بيرلمان (Chaïm Perlman) و اللّسانيّة البلجيكيّة لوسي ألبيرخت تيتيكاه (Lucie Olbrechs Tyteca)[1] ، حيث أصدرا معا كتبهما "الوجيز في الحجاج، البلاغة الجديدة"[2]، وظهر هذا الكتاب في بداية النصف الثاني من القرن العشرين وهو مرتبط بالسياق، السياق الذي عرف المجتمع الأوروبي من خلاله تحوّلات جذريّة عميقة شملت مجالات السياسة و الاقتصاد و الإيديولوجيا*، وكان من النتائج المباشرة لهذا التحوّل، سيادة ثقافة ديمقراطية تكريس التنوّع و الاختلاف، و تنبذ العنف و الإقماع و تستهجنها، فكانت الحاجة الماسة إلى نمط جديد من الخطابة "البلاغة" (....) و التي لم يتردّد بيرلمان في وصفها بالجديدة وهو وصف يسعى إلى تخليص البلاغة ممّا علق بها من لعنة لم تفارقها على مرّ الدّهر.[3] و هدف الباحثان من وضع كتابهما ـالذي قد سلف ذكرهـ هو إعادة صياغة مفهوم الحجاج على عكس المفهوم الذي كان شائعا عند أرسطو فقد جدّد بيرلمان وتيتيكاه آراء أرسطو حينما حاولا أن يعيدا إليهما طابعهما الفلسفي الحقيقي لأنّ البلاغة الأرسطيّة تحصر البلاغة في الإقناع و صرامة المنطق، فتعدّها حجاجا منطقيّا بامتياز، وقد استبعدا تصوّرات أفلاطون و السفسطائيين لأنّها تقوم على الجدل و السفسطة والتشكيك،والمنهج المغالطي والمناورة الواهمة.

قد ربط بيرلمان و تيتيكاه الحجاج بالحوار و الحريّة و العقل حيث أنّ الحجاج لا يعتمد على العنف أو التضليل أو التوهيم بل غرضه هو بناء الحقيقة عن طريق الحوار،البناء و الاستدلال الذي يكون ذهنيّا، لذلك فالحجاج حسب الباحثان «معقولية وحريّة

---

[1] - Chaïm Perlman et Lucie olbrechts tyteca : Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, presse universitaire de France, Paris, 1958.

[2] - l'argumentation: la nouvelle rhétorique: Bruxelles، édition de l'université de Bruxelles, 2009 et le champ de l'argumentation, Bruxelles, Edition de l'université de Bruxelles, 1969

*-يجد القارئ عرضا مفصّلا لهذه التحوّلات في مقال الأستاذ حمادي صمود، ضمن كتاب أهمّ نظريات في التقاليد الغربية، ص41-48.

[3] -حافظ إسماعيلي علوي، المرجع السابق، ج1، الحجاج حدود و تعريفات، ص9.

وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة من أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطيّة و اللّامعقول اللّذين يطبعان الخطابة عادة و بعيدا عن الإلزام والاضطرار اللّذين يطبعان الجدل، و معنى ذلك كلّه أنّ الحجاج عكس العنف بكلّ مظاهره»[1]. ومن هنا فالمقصود بالبلاغة الجديدة تلك البلاغة الحجاجيّة التي تتعارض مع بلاغة الصوّر الفنّية والمحسّنات البديعيّة و يمكن اعتبارها أيضا بلاغة أرسطية جديدة، مادام بيرلمان و تيتيكاه قد اشتغلا على القضايا الحجاجيّة نفسها و لكن في ضوء رؤية جديدة.

يحدّد بيرلمان و تيتيكاه مفهوم الحجاج في كتابهما ـآنف الذكرـ بقولهما:«موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد من درجة ذلك التسليم[2]. وفي موضع آخر من هذا الكتاب يبيّن الباحثان الغاية من الحجاج حيث أنّ«غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل بحثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) أو ما وفق على الأقلّ انجاز السامعين مهيئين على ذلك العمل في اللّحظة المناسبة[3].

يقسّم بيرلمان و تيتيكاه الحجاج إلى صنفين: "إقناعي" و "اقتناعي" ، يتوجّه الإقناع إلي متلقّ خاص و هو يعتمد على الخيال و العاطفة، أمّا الاقتناعي فهو يرمي إلي أن يسلّم به كلّ ذي عقل فهو عام يعتمد بالأساس على العقل[4].

من خلال هذين النوعين من الحجاج يضع المؤلّفان الاقتناع أساس الحجاج و هدفه لأنّه يعتمد على الحريّة و العقل و يسلّم بآراء الآخرين و يتقبّلها، لكن هذه الحريّة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعقل و هو ذو طابع عام لا يميّز بين مستوى المتلقّين، في أنّ الحجاج الإقناعي يتميّز بطابعه الخاصّ، فهو يتوجّه فقط إلى الخاصّة أمثال الشعراء و الأدباء، و قد

[1]-عبد الله صولة، الحجاج أطره و مطلقاته و تقنياته من خلال مصنّف في الحجاج-الخطابة الجديدة-لبيرلمان و تيتيكاه ضمن أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية، تونس، ص298.

[2] - Perlman et Tyteca, Traité de l’argumentation, op. cit. p5.

[3] - نفسه ص 59

[4]- نفسه ص 36

اختار الباحثان "الحجاج الاقتناعي" نظرا لإصرارهما في نظريتهما على الحريّة و العقل في العمليّة الحجاجيّة و كما نرى أنّ الحجاج الاقتناعي يتميّز بهذه الشروط.

1ـتقنيات الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه:

أمّا تقنيات الحجاج فيقسّمهما بيرلمان و تيتيكاه إلى فئتين ـهذا التقسيم يخصّ تقنيات الحجاج اللّغويةـمتمثّلة في تقنيات طرائق الوصل و تقنيات طرائق الفصل،« و نقصد بالأولى ما يتمّ به فهم الخطط التي تقرّب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح أصل توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقوم كلّ منها بواسطة الأخرى سلبا و إيجابا. و تقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعدّ كلاّ واحدا أو على الأقلّ مجموعة متّحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها[1].

و يمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

ـالأدوات اللّغوية الصّرفية: مثل ألفاظ التحليل بما فيها الفصل النّسبي و التركيب الشرطي ، وكذلك الأفعال اللّغوية و الحجاج بالتبادل و الوصف و تحصيل الحاصل.

ـالآليات البلاغيّة: مثل تقسيم الكلّ إلى أجزائه و الاستعارة، البديع التمثيل.

ـالآليات شبه المنطقية: و يجسدها السلم الحجاجي بأدواته و آلياته اللّغوية، و يندرج ضمنه كثير منها مثل الروابط الحجاجية (لكن، حتى، فضلا، عن، ليس، كذا، حسب)، أدوات التوكيد، و الإحصاءات و بعض الآليات التي منها الصّيغ الصرفية مثل التعدية بأفعال التفضيل و القياس و صيغ المبالغة»[2].

[1]-عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص477.
[2]-المرجع نفسه.

2ـالآليات البلاغية و الأسلوبية عند بيرلمان:

بعد ما تطرّقنا إلى تقنيات الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه، سنشير الآن إلى نقطة أثارت اهتمام الباحثين و هي مساهمة كل من بعض العناصر البلاغية و الأسلوبية في العمليّة الحجاجيّة، و سنذكر أهمّها و هي كما يلي:

1ـالإطناب(Amplification): اهتمّ بيرلمان[1] بالإطناب كطريقة عرض حجاجيّة و ذلك من خلال الدور الهام الذي يلعبه في الإقناع، حيث يرى أنّ بعض العناصر في موضوع ما تحتاج إلى التّرديد و التطويل حول دلالتها و أهمّيتّها و ذلك يزيد من شدّة الإقناع، على عكس"الإيجاز" الذي يكتفي فقط بذكرها، إذ أنّه إذا كان الأسلوب السريع(الإيجاز) يصلح في الاستدلال، فإنّ الأسلوب البطيء(الإطناب) ينشأ الانفعال و التأثير، و ذلك كما قال عبد الله صولة:«إنّ الأسلوب العجل يدعم توجّه الخطاب الاستدلالي و الأسلوب البطيء يحدث لدى سامعيه الانفعال و يحرّك عواطفه»[2].

2ـالتكرار (Répétition): إلى جانب الإطناب يلعب التكرار دورا هاما في الخطاب الحجاجي، و ذلك من خلال الترديد الذي يحدثه المتكلم أمام السامع، لإبراز شدّة حضور الفكرة التي يريد إيصالها، من أجل ذلك يقول بيرلمان:«يكون التكرار التّقنية الأكثر بساطة لإنشاء الحضور»[3]، فتكرار المتكلّم للكلمة مرّات عدّة ينشيء في ذهن السامع نوع من الحضور لذلك الموضوع، فيجعله كأنّه يعيش في الواقع و بالتالي يحصل التأثير والتصديق.

3–النّفي(Négation): هو رد فعل على إثبات فعلى أو محتمل حصوله من قبل الغير، كما أنّ برغسون (Bergson)يشرح الدّور الحجاجي للنّفي من خلال تعبيره بأنّ الفكر السالب لا يكون إلاّ إذا كانت هناك مواجهة الغير، بمعنى لما يكون الأمر متعلق بالحوار الحجاجي[4].

[1] - Perlman et Tytica, Traité de l’argumentation, op. cit, p194

[2] -عبد الله صولة، المرجع السابق، ص318.

[3] - Perlman et Tytica, Traité de l’argumentation, op. cit, p194

[4] - نفسه ص 208-209

فالنّفي إذن ينتج جدالا بين شخصيتين، الأول يثبت أمرا ما و الآخر يقوم بنفي هذا الأمر وذلك عن طريق الاستدلال بالحجج المختلفة.

4ـالتّلميح (Allusion):لا يفهم التلميح إلاّ من خلال السياق فبنيته لا نحوية و لا سميائية إلاّ أنّله علاقة مع شيء ليس هو الموضوع الفوري للخطاب، بمعنى له علاقة غير مباشرة بالموضوع، و التلميح له تقريبا دائما دور حجاجي حسب بيرلمان لأنّه عنصر الرّبط والإتحاد بين المخاطب و الجمهور[1]. و على هذا الأساس فإنّ التلميح يعتمد على فطنة المتلقّي وذكائه من أجل الربط بين قضايا الموضوع و بالتّالي استنتاج قصد المتكلّم، هذا القصد هو قصد غير مباشر.

5ـالتفسير(Explication): للتفسير دور فعّال في الميدان الحجاجي كما يمكن لهذا الدور أن ينعرج أيضا إلى الميدان الأسلوبي، فكما يقول بيرلمان:«التفسير القويّ هو كأمر معطى يمكن أن يعتبر كصورة حجاجيّة أو كصورة أسلوبيّة، وذلك حسب الأثر المنتج على المتلقّي[2]. فإذا كان المتلقّي متأثّرا بهذا التفسير و مقتنعا به فهي صورة حجاجيّة، أمّا إذا كان هذا التفسير مهتمّا بالجانب التزييفي للخطاب فهي صورة أسلوبيّة.

6ـالتورية(Périphrase): ذكر بيرلمان مجموعة من الصوّر البلاغيّة ذات الدور الحجاجي ، كالتورية و المجاز المرسل و الكناية، فالتورية هي تعويض كلمة بمجموعة الكلمات أو بعبارة أخرى التعبير بمجموعة من الكلمات عوض كلمة واحدة، فإذا أردنا أن نعبّر عن كلمة ما كالتورية فإنّنا لن نعطي تعريفا فقط لتلك الكلمة وإنّما يعوّضها بمجموعة من الكلمات التي لها نفس المفهوم الذي تحمله تلك الكلمة، و يمكن للتّورية أن تأتي على شكل صورة بلاغيّة أخرى مثل المجاز و الكناية (Métonymie)، و مثال عن التورية: نأخذ كلمة مثلا كلمة "الأمّ" فتعوّضها بعبارة: الشخص الذي يزرع العطف و الحنان و يبثّ الدفء و الاطمئنان.

[1] Perlman Tyteca , Traité de l’argumentation, op. cit, p229

[2] نفسه ص 233

7ـالترادف(Synonyme): يعرف بيرلمان الترادف على أنّه:«الذي يوصف كتكرار لنفس الفكرة باستعمال ألفاظ مختلفة، يستخدم من أجل إعطاء الحضور[1]،بمعنى حضور الفكرة في ذهن المستمع و بالتّالي الاقتناع بها، حيث يظهر الدور الإقناعي لهذا الترادف في التأكيد الذي يتجلّى من خلال تكرار نفس الفكرة بألفاظ مختلفة، و مثال ذلك تأكيد المعلّم للتلميذ على ضرورة المراجعة من أجل النّجاح بقوله:أدرس، راجع، احفظ من أجل النّجاح.

8ـالاستشهاد(Citation): يعدّ الاستشهاد صورة من صور التكامل و الاتّحاد بين المخاطب و المستمع مثل الأمثال و الحكم التي تؤصّل ثقافة معيّنة و ترسيخها[2]، و يتجلّى ذلك بكلّ وضوح في كلامنا اليومي، إذ يلجأ المتكلّم دائما إلى الاستشهاد بأمثال و حكم للتأكيد على صحّة كلامه و إقناع السامع به، و إلى جانب تلك العناصر البلاغيّة و الأسلوبيّة ـالسالف ذكرهاـعناصر أخرى مثل التوكيد، اللّفظ الحسّي، التعريف الخطابي....وغيرها، حيث تقوم هذه العناصر بمهمّتها الحجاجيّة إذا أحدثت تغييرا في وجهة نظر المتلقّي و إيصالها له تجعله يقتنع بالموضوع المراد.

[1] Perlman et Tyteca, traité de l’argumentation p238.

[2] نفسه ص 240

5_2_الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر(الحجاج في اللّغة):

تعود نظريّة الحجاج في اللّغة إلى كلّ من أوزفالد ديكرو(Oswald Ducrot) وجون كلود أنسكومبر(Jean Claude Anscombre)التي وضع ديكرو أسسها اللّغويّة منذ1973،تهدف إلى أغراض مختلفة[1]، وقد سمّا مؤلّفهما الذي عرضا فيه بعض أوجه هذه النظريّة "الحجاج في اللّغة" (l'argumentation dans la langue) 1983، حيث عرض اللّغويّان من خلاله مفهوم الحجاج و آلياته و هو حجاجي لساني بحت و قد حصراه في اللّغة و دراستها، و قد سميّت أيضا هذه النظرية بالتداوليّة المدمجة .

1_معنى الحجاج عند ديكرو:

إنّ ديكرو يفرّق بين معنيين للفظ "الحجاج": المعنى العادي و المعنى الفنّي أو الاصطلاحي، و الحجاج موضوع النظر في التداوليّة المدمجة هو بالمعنى الثاني، فالحجاج بالمعنى العادي "يعنى طريقة عرض الحجج و تقديمها و يستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعّالا، و هذا المعيار الأول لتحقيق السمة الحجاجيّة، غير أنّه ليس معيارا كافيا، إذ يجب ألا تهمل طبيعة السامع المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، و مدى قدرة التقنيات الحجاجيّة المستخدمة على إقناعه، فضلا على استثمار الناحية النفسيّة في المستقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب أمّا الحجاج بالمعنى الفنّي فيدلّ على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب المدرجة في اللّسان ضمن محتويات دلالية، و الخاصيّة الأساسيّة للعلاقة الحجاجيّة أن تكون درجية (Scalaire)أو قابلة للقياس بالدّرجات أي أن تكون واصلة بين سلالم[2].

تتميّز أعمال ديكرو و زميله أنسكومبر عن النظريّات التداوليّة الأخرى بمصادرة مخصوصة، إنّهما يعتبران القطبيات الحجاجيّة ليست مضافة إلى الملفوظ، و لكنّها مسجّلة في اللّغة بوصفها أساس لكلّ دلالة[3].

[1]-كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، مراجعة عبد الله صولة، ص117.
[2]-صابر الحباشة، التداولية و الحجاج، مداخل و نصوص، صفحات للدراسة و النشر، نحو فكري ثقافي متجدّد، دمشق، سوريا، 2008، ص21.
[3]-المرجع نفسه، ص18.

يعني ذلك أنّ تقنيّة الحجاج ليست وصفا خارجيّا للّغة أو مضافا لها و لكنّها أساس فيها، داخل في دلالة وحداتها باعتبار أصل بنيتها و اللّغة حجاجيّة في أصلها، إذ تبيّن نظريّة ديكرو و أنسكومبر أنّها تحمل بصفة ذاتيّة و جوهريّة(intrinsèque)، وظيفة حجاجيّة، و بعبارة أخرى هناك مؤشّرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال أنفسها[1]. و الحجاج في اللّغة:«هو بيان بما يتضمّنه القول من قوّة حجاجيّة تمثّل مكوّنا أساسيّا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلّم في اللّحظة التي يتكلّم فيها، يوجّه قوله وجهة حجاجيّة ما»[2]، أي أنّ المتكلّم ملزم بمراعاة حال السامع حيث أنّه يجب أن يستخدم أسلوب و عبارات تتناسب و مقدرة الفهم لدى المتلقّي و يجب انتقاء طريقة في صياغة القول و نظمه حجّة على إدراكه و مراعاته لمن يوجّه خطابه.

2_التداوليّة المدمجة:

تعرف التداوليّة المدمجة حسب المعجم الموسوعي للتداوليّة «بكونها نظريّة دلاليّة تدمج مظاهر التلفّظ في السنة اللّسانيّة (بمعنى اللّسان عند دي سوسير1968)، و ليست مظاهر التلفّظ في بعض وجوهها سوى عوامل حجاجيّة تندرج في الأقوال فتكيّف تأويلها وفق غاية المتكلّم»[3].

وضعت هذه النظريّة في إطار لسانيّات الجملة و ذلك بمقتضى مناهجها و قضاياها وأعراضها حيث تمّت إعادة تحديد مفهومي "الحجّة" و "الحجاج" تحديدا جذريّا يختلف عن المفاهيم الكلاسيكيّة بل يتناقض معها أحيانا[4]. سميت "التداوليّة لمدمجة" حيث تتأثّر الدلالات اللّغويّة بشروط استخدام اللّغة[5]. وهذا هو الحال عند ديكرو و أنسكومبر حيث أنّهما في نظريتهما يرفضان الرأي القائل "أنّ هناك فصل بين الدّلالة و التداوليّة" ذلك أنّ«مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة

[1]-أبو بكر العزاوي، المرجع السابق، ص56.
[2]- فريق البحث في البلاغة و الحجاج، المرجع السابق، ص352.
[3]- صابر الحباشة، المرجع السابق، ص20.
[4]- كريستيان بلانتان، المرجع السابق، ص117.
[5]-جاك موشلار-آن روبل، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين عفوس و محمّد الشيباني، المنظّمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص47.

التداوليّة (لا الخبريّة الوصفيّة) المسجّلة في أبنية اللّغة و توضيح شروط استعمالها الممكن»[1]، وهذا يعني أنّ التداوليّة المدمجة في الدلالة لا تعني بالبحث في الجوانب التداوليّة خارج إطار اللّغة، إنّما تبحث عنها داخل بنية اللّغة نفسها، أمّا فيما يخصّ مفهوم الحجاج في التداوليّة المدمجة فقد عرّفه ديكرو في كتابه "الحجاج فاللّغة"على النحو التّالي:«يقوم متكلّم ما بفعل الحجاج عندما يقدّم قولا (ق1) أو مجموعة أقوال يفضي إلي التسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى»[2]، فالقول (ق1) هو الحجّة التي يصرّح بها المتكلّم، أمّا (ق2) فهي التي يستنتجها المستمع و هذه النتيجة تكون إمّا مصرّحا بها أو ضمنيّة، لذلك فإنّ الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر هو:«انجاز لعمليتين هو عمل التصريح بالحجّة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء أكانت النتيجة مصرّحا بها أو ضمنيّة»[3]، كما يرى أنّه«كلّ قول يحتوي على فعل إقناعي، فإنّك تتكلّم يعنى أنّك تتحاجج (كلّ قول يساوي حجاج)، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجيّة، فالحجاج عنده هو علاقة دلاليّة تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة»[4].

3ـنظريّة السلالم الحجاجيّة:

انطلقت نظريّة السلالم الحجاجيّة من إقرار عمل التلازم في عمل المحاججة بين قول الحجّة (ق) ونتيجة (ن)، و معنى التلازم هنا هو أنّ الحجّة لا تكون حجّة بالنّسبة للمتكلّم، إلّا بإضافتهما إلى النتيجة، مع الإشارة إلى أنّ النتيجة قد يصرّح بها و قد تبقى ضمنيّة[5]، أي مضمرة فنظريّة السلالم الحجاجيّة التي تدعم هذه النتيجة قد تكون إذن متفاوتة في درجة قوّتها، إذ تشكّل سلّما ينطلق من أصعب حجّة حتى يصل إلى أقواها، و لذلك سميت "السلالم الحجاجيّة".

[1]-شكري مبخوت، الحجاج في اللّغة ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص351.
[2]-جون كلود أنسكومبر و أوزولد ديكرو، الحجاج في اللّغة، ص8.
[3] - Jean Claude Anscombre et O. Ducrot. L'argumentation dans la langue p11.
[4]-أبو بكر العزاوي، اللّغة و الحجاج، ص14-16.
[5]-فريق البحث في البلاغة و الحجاج، المرجع السابق، ص363.

السلّم الحجاجي هو«علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالآتي»[1]:

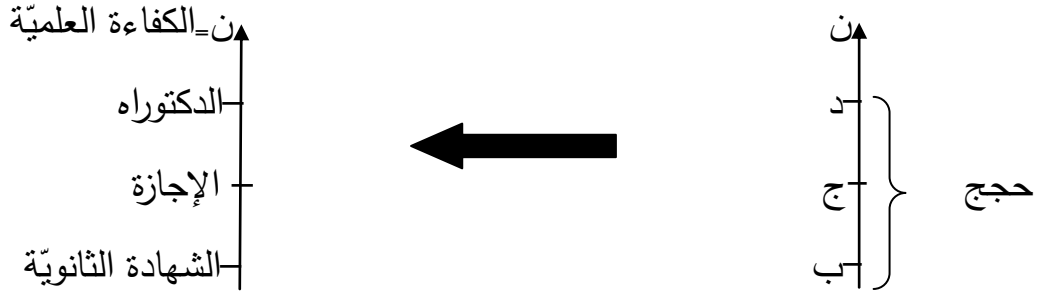

و يقترن السلّم الحجاجي بمفهوم (التوجيه) ليختصّه معا بالعلاقة الحجاجيّة[2] و هي محور الربط بين الحجّة و النتيجة، وتختلف بشكل جذري عن علاقة الاستلزام و الاستنتاج المنطقي و يرمز لها كما يلي:[3]

ح ←——— ن

و الخاصيّة الأساسيّة للعلاقات الحجاجيّة أن تكون درجية، أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصلة بين سلالم. ذلك أنّ الجملة عند ديكرو و أنسكومبر أي (المستوي الإعرابي و المعجمي) تتضمّن ضمن وجهة حجاجيّة ضمن علاقة يتحدّد بها المعنى المؤدّى بواسطة هذه الجملة القول، و ما تأتّي هذه الوجهة أو التوجيه هو المكوّنات اللّغويّة للجملة التي تحدّد معناها و تضيّق و توسّع من احتمالاتها الحجاجيّة، و هذه المكوّنات اللّغوية هي التي تحدّد طرق الربط بين النتيجة و حجّتها[4].

[1]-أبو بكر العزاوي، المرجع السابق، ص20.
[2]-صابر الحباشة، المرجع السابق، ص21.
[3]-أبو بكر العزاوي، المرجع السابق، ص20.
[4]-فريق البحث في البلاغة و الحجاج، المرجع السابق، ص375.

5_3_الحجاج عند ميشال مايير(نظريّة المساءلة):

يرى الفيلسوف الأمريكي ميشال مايير(Michel Mayer)أنّ طبيعة الكلام مبنيّة على السؤال و الجواب و هي طبيعة منتجة للحجاج و ذلك لأن السؤال ة الجواب يولّدان الحوار و النّقاش و التفاوض بين المتكلّمين و الذي بدوره يمثّل "الحجاج"، و قد أعطى مايير أهميّة كبيرة "لنظريّة المساءلة" لما لها من آثار حجاجيّة، لأنّه بالنّسبة إليه كلّ كلام قائم على السؤال الذي ينتهي في الأخير باستنتاج، كما يقول محمّد علي القارصي:«إنّ الحجاج متعلّق لدى مايير بنظريّة المساءلة و هو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدّي إلى نتيجة أو موقف، تحمّل الغير على اتّخاذه إزاء مشكل مطروح في سياق يوفّر مواد إخبارية ضروريّة للقيام بعمليّة الاستنتاج المتّصل بالزوج سؤال، جواب»[1].

إلى جانب هذا أيضا نجد مايير قد وظّف مفهومين قد سبق أن تطرّقنا إليهما في نظريّة ديكرو(مفهوم الحجاج في التداوليّة المدمجة) و هما "المصرّح به" و"الضمني"،«فالمصرّح به هو ظاهر السؤال،أمّا ما هو ضمني فتلك الإمكانيات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد[2]،و هذا يعني أنّ الكلام المصرّح به هو السؤال المطروح، أمّا الضمني فهو الإجابة المنتظرة من السؤال المطروح.

من خلال هذين المفهومين استطاع مايير أن يستنتج مفهوم الحجاج في كتابه "المنطق، اللّغة و الحجاج" حيث قال:«الحجاج هو دراسة العلاقة بين الكلام الظاهر والضمني»[3]، بمعنى دراسة العلاقة القائمة بين السؤال و الجواب_و هذا ما ذكرناه سابقا_هو أنّ السؤال و الجواب يكوّنان الجدل و النقاش المرادفان للحجاج.

[1]-محمد علي القارصي، البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساؤلة لميشال مايير ضمن كتاب في نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص394.
[2]-المرجع نفسه، ص394-395.
[3]-ميشال مايير، المنطق، اللّغة و الحجاج، ص112.

1ـالحجاج و البلاغة (المجاز):

بالإضافة إلى اهتمام مايير بنظريّة المساءلة، فإنّه يتّفق أيضا مع بيرلمان حول نقطة مهمّة في هذه الدراسة و هي أهميّة الصوّر البلاغيّة في الحجاج و خاصّة "المجاز" إلى درجة أنّه:" يعتبر كلّ بلاغة حجاجا و العكس" و يشير مايير إلى ما يلعبه "المجاز" من دور رئيسي في هذا المجال، و هذا ما عبّر عنه أثناء تعريفه للمجاز و دوره في الحجاج، حيث قال أنّه:«يخلق المعنى و يصدم كلّ من لا يشاطر المتكلّم وجهة نظره، و هو إلى ذلك طريقة التعبير عن الأهواء و الانفعالات و المشاعر التي هي صورة من الإنسان مثلما يكون المجاز صورة من الأسلوب»[1].

إذا ما بحثنا في الأعمال العربيّة الحجاجيّة حول الحجاج، لوجدنا من يتّفق مع مايير في دور المجاز في الحجاج أمثال "طه عبد الرحمن" الذي عبّر عن هذه الفكرة في كتابه اللّسان و الميزان أو التكوثر العقلي بقوله:«فلا حجاج بغير مجاز»[2].

و بهذا فإنّنا نجد أنّ المجاز هو أساس الحجاج و له وظائف متعدّدة سواء من ناحية تعبير المتكلّم عن مشاعره و أحاسيسه أو من ناحية تزيين الخطاب و إظهار جماليته الفنّية.

[1]-ميشال مايير، أسئلة البلاغة()، ص98، ضمن كتاب نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، حمادي صمود، ص395.
[2]-طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص232.

الفصل الثالث:

دراسة تحليلية للمصطلحات الحجاجية.

-تحليل بعض المصطلحات الحجاجية.

-فهرس المصطلحات الحجاجية.

-مصطلح أجنبي واحد مقابلات عربية متعدّدة:

الحجاج: Argumentation

تختلف تعاريف الحجاج من حقل معرفي لآخر، و من زاوية استثمارية إلى أخرى و حسب العلوم التي يوظفها داخلها، إلّا أنّ التعاريف كلّها وكيفما كانت انبثقاتها المعرفية وحقولها التجريبية تكاد تتفق على «أنّ الحجاج هو بذل الجهد لغاية الإقناع، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة، و على هذا الأساس من الطبيعي أن يكون مجال الحجاج هو المحتمل و الممكن و التقريبي و الخلافي و المتوقع و غير المؤكّد...، و أن يبنى على التفاعل و الاختلاف في الرأي، و أن يظل مفتوحا أمام النقاش و التقويم....وأن يحضر في كلّ أنماط الخطاب التي تنزع منزعا تأثيريا لا يقين فيه و لا إلزام»[1].

مفهوم الحجاج متشعّب وملتبس على الدارسين لتشعب مجالاته و تعدد استعمالاته و تباين مرجعياته، فمصطلح "الحجاج" يضرب بجذوره العميقة فتعريفه من الناحية الاصطلاحية لا يختلف عن معناه اللّغوي، مع وجود اختلافات جزئية في الجذر(ح ج ج) فهناك من يستعمل "حجاج"، و هناك من يفضل "التحاج" و هناك من يفضل "التحاج" وهناك من يفك الإدغام فيقول "تحاجج" و نجد من يستعمل "محاجة"، و نجد أيضا من يفك الإدغام فيقول "المحاججة"، و هناك من يجعل الحجاج مرادفا للجدل، لكن يعتبر مصطلح الحجاج الأكثر تداولا و استعمالا و انتشارا.

الاقتضاء: Présupposition

يعتبر الاقتضاء موضوعا معرفيا له بنيته المتميّزة في إطار تخصّصات مختلفة ، كفلسفة اللّغة، المنطق، والسيميائيات، و التداوليات، و البلاغة، و الأصول...و هو ظاهرة لها علاقة بتكوين النص، و فهم أجزائه المكوّنة للعملية التواصلية التي تتم بين الكلام المنطوق، و المسكوت عنه. خصوصا، و أنّ محتويات التعبير التي ننسج بها النصوص تقتضي أغراضا و مواقف مرّة تظهرها النصوص ملفوظة تقرئ و تفهم، و مرّة تحجب وتدرك بالقرائن و إيحاءات الكلام. و في كلتا الحالتين المباشرة و غير المباشرة نجد الآلة

[1]- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه و مجالاته، دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث ، إربد- الأردن، ج1، 2010، ص4.

الفكرية تستنفذ آلياتها المختلفة، و بمفاهيم متنوّعة، و قراءات متعدّدة، لاستخراج المسكوت عنه من النص. علما، أنّ النص في هذه الحال، ليس آلة كسولة أو بخيلة كما يدّعي أمبرتوإيكو(A .Eco) تحتم على القارئ بذل الجهد لملئ فراغ المسكوت عنه[1].

يتبيّن لنا من خلال هذا التعريف أنّ للاقتضاء دور فعّال في تكوين و تماسك الخطاب، ما أنّ له دور فعّال في إنجاح العملية التّواصلية حيث يتم فهم المعني إمّا عن طريق السياق أو عن طريق القرائن التي تدلّ عليه و علي القارئ بذل الجهد لفهم المسكوت عنه، فنجد العلماء يختلفون في تسمية مصطلح الاقتضاء، فهناك من يطلق عليه اسم الإضمار "sous entendu "، و هناك من يطلق عليه اسم الحذف أو المضمرات " les implicites"، المسكوت عنه. إلّا أنّ المضمر هو المصطلح الأنسب حيث أنّه يعبّر عن المعنى و يفهم المقصود منه بمجرّد النطق به، وهو الأكثر تداولا.

التطويع: Manipulation

يعرّفه فليب بروتون (Breton)التطويع على النحو التالي:« فعل عنيف و مكره يسلب حرية الآخر لإخضاعه. وهو بمثابة كذب منظّم يتوخّى منه تغليط الآخر»[2].أي أنّه يعتبر بمثابة جسر لتحقيق الأهداف الشخصية دون مراعاة مشاعر و أحاسيس الآخر ، فالمتكلّم يضطرّ إلى استعمال مختلف الوسائل للتأثير في الغير و تغيير معتقداته على نحو المال، النفوذ و المظهر و العنف.

هناك من يطلق مصطلح التوجيه "l'orientation"على التطويع فنجد "سيورل" يعتبر التوجيه مقولة يراهن من خلالها المتكلّم على حفز المتلقّي على فعل شيئ معيّن[3]. رغم اختلاف تسميات هذا المصطلح إلّا أنّ المعنى و المفهوم متّفق عليه و مصطلح التطويع هو الأكثر تعبيرا ودقّة أي أنّه الأقرب إلى المعنى المقصود.

[1]-أحمد كروم، أدوار الاقتضاء وأغراضه الحجاجية في بناء الخطاب، المرجع السابق، ج1، ص143.
[2]-محمّد الدّاهي، التواصل بين الإقناع و التطويع ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، ج1، ص261.
[3]-المرجع السابق،269.

الاستدلال: Raisonnement

إنّ مفهوم الاستدلال عند العلماء و البلغاء العرب، كان يتمّ استقصاء القول فيه ضمن إطار علم البلاغة و علم المعاني و البيان و قد ميّزوا بين الاستدلال المنطقي و بين الاستدلال البياني، فنجد مفهوم الاستدلال من المنظور العربي اللّغوي لا يخرج عن حظيرة الوصف و التشبيه و الاستعارة فهو ليس عملية استنباطية محضة، بل عمليّة خطابية يتمّ بموجبها اتّخاذ علامة ماديّة أو معنوية و جعله شاهدا أو مثالا على شيئ أو صفة من صفاته[1].

نجد من العلماء من جعل مصطلح "الاستدلال" مرادفا للقياس، و هناك من جعله لا يخرج عن دائرة التشبيه و الاستعارة فالاستدلال مثلا عند عبد القاهر الجرجاني هو اعتبار كلمات أو عبارات ذات معاني إستعارية (اسميّا أو تشبيهيا) دالّة أو دليلا على معاني أخرى عبر المعاني الظاهرة (الحقيقية)، و على عكس الجرجاني نجد السكّاكي تناول الاستدلال تناولا جافا، فقد اجتثه من صرح المنطق الصوري و جعله ضابطا للجمل الخبرية، و بهذا صار الاستدلال عنده مرادفا للإشارة إلى الجملة الواحدة، خاصّة الجملة الخبرية و التي تكون بمثابة حجّة و استدلال و دليل[2]، و هذا ما يؤكّده بقوله:«من تكملة علم المعاني في الاستدلال و هو إكساب الخبر للمبتدأ، أو نفيه عنه، بواسطة تركيب جمل تنبيه على ما عليه أصحاب هذا النوع من إباء أن يسمّوا الجملة الواحدة حجّة و استدلالا...»[3].

يتّضح لنا أنّ السكّاكي جعل " الاستدلال" مرادفا لمصطلح الحجّة، إلّا أنّ الحجة هو الدليل الذي يستخدم في مواجهة الخصم و الدليل هو العلامة المبيّنة بصدق الدعوى و منه نخلص إلى أنّ الدليل أعمّ من الحجّة.

[1]-حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، مرجع سابق، ج3.
[2]-المرجع السابق، ص63.
[3]-المرجع السابق، ص64.

البرهنة: Démonstration

هو استنباط يوجد لتأكيد أو إثبات سبق نتيجة و ذلك بالاستناد إلى مقدّمات معترفا لها بميزة الصدق أو الحقيقة[1].

و البرهنة مرتبطة بالإقناع وذلك لأنّها تعتمد على تقنياته للاستدلال (كالأمثلة و الحجج)، و هي تكترث بسلامة الاستدلال و صحّته.

البرهان:raisonnement

البرهان هو مجموعة من الحجج توضع لإقناع شخص ما، لإثبات أو إبراز شيئ ما ، و هكذا فهو يبني سلسلة أو متوالية من القضايا المرتبطة فيما بينها، و التي تنتهي إلى نتيجة[2].

يستعمل مصطلح "البرهان" المعرب، أصله فارسي "بران" كمرادف ل"دليل" و"استنباط" و "استقراء" و كلّ هذه المصطلحات لها نفس المقابل الأجنبي ألا و هو "raisonnement" .

إلّا أنّ البرهان محكوم بمعايير هي غير معايير الاستدلال بالحجّة و الحجاج ، فالبرهان إمّا أن يكون صحيحا و إمّا أن يكون خاطئا [...] و يكون صحيحا بصحّة نتائجه و كفايتها الذاتية أي استغناؤها عن عدم و تقوية خارجية، كما أنّ صدق البرهان هو صدق قضاياه[3].

[1]-حميد أعبيد، الحجاج في الفلسفة و في تدريسها، المرجع السابق، ج3، ص80.
[2]-المرجع نفسه، ص87.
[3]-الحبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، المرجع نفسه، ص54.

الاستعارة الحجاجية: Métaphore argumentatif

يعرّفها أبو بكر العزاوي بأنها:"من الوسائل اللّغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنّها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدّا ما دمنا نسلّم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعة"[1].

تعلو الاستعارة الألفاظ الحقيقية أي أنّها لا تستعملها، و ذلك لأن عدم لجوء المخاطب إلى استعمالها جعلته واثقا في أنّها أبلغ من الحقيقة حجاجيّا، و تعتبر من أكثر الوسائل التي يعتمد عليها المخاطب (أو المتكلم) للوصول إلى مراميه و أهدافه الحجاجية كما أنّ الاستعارة من وسائل الحجاج التي يمارس المتكلم من خلالها نوع من الضغط لإقناع المستمع و التأثير فيه و إثارة انتباهه إذ تعرف «بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقيّ»[2].

تكمن فعالية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق، إذ تمثّل أبلغ أو أقوى الآليات اللّغوية، رغم اكتناف السياق لكثير من العناصر، و يظهر التوجيه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه، إذ تكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المخاطب إلى الاقتناع، إذ يهدف إلى تعبير المقاييس التي يعتمدها المخاطب في تقويم الواقع و السلوك، أن يتعرّف على ذلك من المخاطب ليكون سبب القبول و التسليم، و ليس التخييل أو الصنعة اللّفظية.

المبادئ الحجاجية:principes argumentatifs

«هي مجموعة من المسلّمات و الأفكار و المعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغويّة معيّنة، و الكلّ يسلّم بصدقها و صحّتها»[3].

منه نستنتج أنّ المبادئ الحجاجيّة ترتبط بالاديولوجيات الجماعية، و هناك من يعتبرها ضامنا، وذلك لأنّ الروابط و العوامل الحجاجيّة لا يكفي لضمان سلامة العملية

[1]-أبو بكر العزاوي، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلّة المناظرة، المغرب، العدد4، 1999، ص81.
[2]-عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج و أدواته ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، ج1، ص138.
[3]-أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللّغة، المرجع نفسه، ص66.

الحجاجية، و لا يكفي أيضا لقيام العمليّة الحجاجيّة، بل لابدّ من ضامن يضمن الربط بين الحجة و النتيجة، و هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية، و هي تقابل مسلّمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي[1].

الموجّهات التعبيرية: les modèles d'expression

«إنّ للموجّهات التعبيرية لها دور في الحجاج و يتمثّل في أنّها تتيح التعبير عن الفكرة الواحدة بطرق متعدّدة، على أنّ من الصيغ اللّغوية ما يتجاوز مجرّد أحداث التأثير الحجاجي في الجمهور إلى الاتّحاد مع هذا الجمهور فكرا و وجدانا»[2].

قد نبّه بيرلمان إلى أنّ جلّ العناصر الأسلوبية من نفي و شرط و تأكيد و عناصر بلاغيّة – بديعية و بيانية و معنوية– و أدوات الربط و العطف...الخ، كلّها تعتبر موجّهات تعبيرية ذات دور حجاجي كبير.

هناك من يطلق عليها اسم "الموجّهات الدلالية" و نجد أنّ كلا المصطلحين يعبّران عن نفس المعنى.

المبادئ الشبيهة: vraisemblable

يرى أرسطو أنّ كلّ معرفة اكتساب و أنّ كلّ تعلّم مقدّم أو متلقي بواسطة الاستدلال آت من معرفة سابقة، فكلّ معرفة مكتسبة من أوائل أي معارف متقدّمة و هذه الأوائل يخصّها أرسطو باسم المبادئ التي يعرّفها بأنّها «هي تلك الحقائق التي يستحيل البرهان على وجودها»[3].

تتخصّص المعرفة بطبيعة مبادئها فإن كانت مبادئ ضروريّة كانت المعرفة علما ، وإن كانت مبادئ شبيهة كانت المعرفة ضنّا و نقصد بالمبادئ الشبيهة تلك المعارف

[1]-أبو بكر العزاوي، المرجع السابق، ص65.
[2]-محمّد سليم محمّد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوّره في البلاغة المعاصرة، المرجع السابق، ج2، ص197.
[3]-حمّو النقاري، حول التقنين الأرسطي طرق الإقناع و مسالكه، مفهوم الموضع، المرجع السابق، ج3، ص8.

الأوليّة[1]، فهناك من يطلق عليها مصطلح "المبادئ الأوليّة" "Axiom"، و هناك من يسمّيها مبادئ بديهية، لأنّها تكون متواترة أو محتملة.

القانون الأنفع:loi de l'utilité

«هو قانون تخضع له عمليّة تأويل الخطاب بصفة عامّة في نطاقها يسمّيه براندوني (Brendonner) بالتداوليّة المدمجة و بنظريّة الدلالة وفق الشكل "y"»[2] أو ما يسمّى بنظريّة الدلالة ذات الشكل المقلاع "y"، «فالتنظيم ذو شكل المقلاع "y" يقيم تمييزا واضحا بين اللّسان نظاما من العلامات من جهة و بين اللّسان أداة للتواصل من جهة أخرى، و هذا التقابل الأساسي بين وجهتين النظر يشمل التقابل الذي تقيمه وجهتا النظر كلتاهما بين الدلالات الصريحة و الضمنيّة، فالصريح هو ميدان مدلولات اللّسانيّة المسجّلة في الملفوظ،وهي ملفوظات ترتبط ببعض الدوال بواسطة القواعد البنيويّة للسنّة اللّفظيّة، أمّا الضمني فالعكس من ذلك هو كلّ الدلالات العريضة التي تظهر في كلّ حدث تلفظ بواسطة ملاقاة وردود الملفوظ بشروط تلفّظه السياقية بين النّاس...الخ، و هي علاقات تحكمها قواعد تقوم مقام طريقة استعمال الملفوظات»[3].

يكون تطبيق القانون الأنفع ـحسب تحليل أنسكومبرـ باختيار الملفوظ الذي دخلت عليه العوامل الحجاجيّة لأنّ ذلك «يكسب الملفوظ بعدا حجاجيّا أعمق و أنجع في التوجيه نحو النتيجة الضمنيّة»[4]، وضع هذا المصطلح أسوة بديكرو و يطلق عليه أيضا اسم "القانون الأجدى".

[1]-المرجع السابق، ص9.
[2]-محمّد العمري، الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة؟، المرجع السابق، ج1، ص33.
[3]-صابر الحباشة، التداولية و الحجاج، مدخل و نصوص، ص34.
[4]-محمّد العمري، المرجع السابق، ص34.

السلّم الحجاجي:échelle argumentatif

«السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبيّة للحجج»[1]، و نفهم من هذا أنّه عندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجيّة ما علاقة ترتيبيّة معيّنة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد.

ويعرّفه طه عبد الرحمن في كتابه" اللّسان و الميزان أو التكوثر العقلي" على النحو التالي:«عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزدوجة بعلاقة ترتيبية و موفية بالشرطين التاليين:

أ–كلّ قول كان في السلّم يلزم ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب–كلّ قول كان في السلّم دليلا غلي مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه ، وله ثلاثة قوانين هي:

–قانون الخفض.

–قانون تبديل السلّم.

–قانون القلب[2].

و القانون الأوّل" loi de baissement"هو ما يسمّيه طه عبد الرحمن قانون الخفض، و مقتضاه: «أنّه إذا صدق القول في مراتب معيّنة من السلّم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تحتها»[3]، أي أنّ القولين المتقابلين لا يصدقان في نفس المراتب من السلم.

أمّا القانون الثاني هو ما يسمّيه طه عبد الرحمن بقانون تبديل السلّم و الذي يسمّيه ديكرو بقانون النفي، إذن مقتضي هذا القانون أنّه«إذا كان القول دليلا على مدلول معيّن

[1]-أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللّغة، المرجع السابق، ج1، ص59.
[2]-عبد الهادي بن ظافر، المرجع السابق، ص95.
[3]-المرجع نفسه، ص97.

، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض المدلول»[1]، أي أنّ نفي إحدى الأدلّة أو الحجج يؤدّي إلى نفي مدلول الخطاب كلّه.

و القانون الأخير هو قانون القلب كما يسمّيه طه عبد الرحمن فمقتضاه أنّه:«إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معيّن، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأوّل في التدليل على نقيض المدلول»[2]، أي أنّه إذا كانت إحدى الحجّتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معيّنة، فإنّ نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجّة الأولى في التدليل على النتيجة المضادّة.

المقدّمات:les prémisses

«يرى بيرلمان أنّ مقدّمات الحجاج هي التي تؤسّس نقاط انطلاق الحجاج "point de départ de l'argumentation"و من أهمّ هذه المقدّمات "الوقائع"، "الحقائق" ، "الافتراضات"، " القيم"، و "هرمية القيم" و "المواضع"»[3].

و كلّ هذه المقدّمات كما يرى بيرلمان تتفرّع إلى ضربين أحدهما مداره على الواقع "le réel" فهو الخاص بالوقائع و الحقائق و الافتراضات و الآخر مداره على المفضّل "le préférable" وهو المتعلّق بالقيم و مراتبها و بالمواضع....و تمثّل هذه المقدّمات على اختلاف أنواعها منطقا للمحاججة يعتمد الحسّ المشترك " le sens commun" لمجموعة لسانية معيّنة، و الذي هو جماع معتقداتها و مناط موافقتها " accord"، بل و مناط موافقة كلّ عاقل و تسمّي المحاججة في هذه الحالة المحاججة الموجّهة للإنسان عامّة[4].

[1]-المرجع نفسه، ص97.
[2]-المرجع نفسه، ص98.
[3]-محمّد سليم محمّد الأمين الطلبة، المرجع السابق، ج2 ، ص193.
[4]-المرجع نفسه، ص195.

الوقائع: les faits

تمثّل ما هو مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع الناس...و التسليم بالواقعة من قبل الفرد، ليس إلّا تجاوبا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق، إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيّا[1]، فهي تمثّل مجموعة من الوقائع القارّة الثابتة التي يلجأ إليها مجموعة من الناس أثناء الاستدلال بها عن موضوع ما لذلك تصلح أن تكون نقطة بداية أو مقدّمة بالإضافة إلى كونها تحمل طابعا عامّا تنتشر بين جميع النّاس.

الحقائق:les réalités

يلجأ إليها الخطيب و المحاجج بصفة عامّة للربط بينها و بين الوقائع ليمنح حجاجه بداية قويّة نافذة، فالحقائق تقوم على فكرة الربط بين الوقائع و بذلك فهي تتأسّس في الغالب على مفاهيم فلسفيّة ودينيّة و علميّة[2].

تجدر الإشارة هنا إلى القول أنّ الحقائق تحمل طابعا خاصّا فليس جميع النّاس على دراية بالمفاهيم الفلسفية و العلميّة إلّا المختصّون فيها.

الافتراضات:les présomptions

إنّ الافتراضات ليست ثابتة بل هي متغيّرة تبعا للوسط و المقام و المتكلّم والسامعين، لأنّها تقاس بالعادي "le normal"، و العادي مفهوم مجرّد يختلف باختلاف القدرات و الإمكانات الفرديّة و الجماعيّة[3].

تعدّ الافتراضات كذلك من مقدّمات الحجاج بالإضافة إلى الوقائع و الحقائق، فكلّ المستمعون يقبلون الافتراضات، هذه الأخيرة تحظى بالموافقة العامّة.

[1]-المرجع نفسه ، ص193.
[2]-المرجع السابق، ص193.
[3]-المرجع نفسه.

حتّى و إن كانت الافتراضات مسلّما بها من قبل المعنيين سلفا إلّا أنّ التسليم القويّ بها في إطار الخطاب لا يكون كذلك ما لم تشفع بأدلّة و أنساق برهانية تدعمها، بالإضافة إلى كونها متغيّرة ليست ثابتة.

القيم:les valeurs

للقيم بمختلف أنواعها دورا فعالا في بناء الثقة بين المتحاورين و المبدعين و القراء. فهي إذن عنصر حجاجي أساسي في العلوم الإنسانية و الاجتماعية فهي توظف في النظرية الحجاجية بوصفها قواعد حجاجية (règle argumentative)[1].

«نستند عليها لكي نحمل المخاطب على القيام بأفعال معيّنة بدل أخرى كما أنّنا نستدعيها خصوصا من أجل تبرير تلك الأفعال بطريقة تجعل هذه الأفعال التي دعونا إليها مقبولة ومؤيّدة من طرف الآخرين...فبالقيم نستطيع تشكيل الحقيقة المطلوبة على الوجه الذي يريد المبدع [المحاج]، هذا في الوقت الذي تظل فيه هذه القيم محافظة على نصاعتها بعد الاستخدام ممّا يجعلها صالحة للاستعمال في مقامات أخرى»[2]. و إنّ إقرار دورها في النظرية الحجاجية هو أوّل خطوة لنبذ فكرة«العنف و القصر و المصادرة» و ميلاد ميثاق التواصل القائم على النقاش المثمر[3].

تلعب القيم دورا فعالا في الحجاج حيث تمثّل مدار الحجاج بكلّ أنواعه، و يعتمد عليها في تغيير مواقف و سلوك السامعين و دفعهم إلى الفعل المطلوب وتبرير تلك الأفعال،والوصول إلى الحقيقة المطلوبة، و أيضا في عمليّة التواصل حيث أنّ بها يكون النقاش والحوار مثمرا يؤدّي إلى الوصول إلى نتيجة مضمونة.

المواضع الخاصّة:les lieux spéciaux

[1]-محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوّره في البلاغة المعاصرة، المرجع السابق، ج2، ص210.
[2]-المرجع نفسه، ص194.
[3]-المرجع نفسه، ص211.

يتميّز الحجاج بارتكازه على ما يسمّي " المواضع"، و المواضع «هي مجموعة من القيم و المعايير و العلاقات المتميّزة بطبيعتها الظنيّة و اللّايقنيّة، و لكنّها مع ذلك تتمتّع بالشهرة و مقبولية لدى عامّة الناس نتيجة توافقها مع الحسّ القويم المشترك، إنّ هذه المواضع تقوم في الحجاج مقام القوانين و القواعد العقليّة الضروريّة التي يقوم عليها الاستدلال في المصوغات البرهانية (المقدّمات الكبرى في القياس)، و هي عادة تشكّل سندا لكلّ عمليّة حجاجيّة، سواء تعلّق الأمر بالمرافعات القضائيّة في المحاكم أو المحاورات الفكريّة المتنوّعة أو الخطب السياسية الموجّهة نحو الجمهور أو حتّى الأحاديث اليومية العامّة... و ينبغي في هذه المواضع المشتركة أن تكون مقبولة من طرف المخاطبين بالملفوظات الحجاجيّة التي تقوم عليها»[1].

نجد أنّ هناك من يطلق على مصطلح المواضع اسم "المواقع الخاصّة"، أمثال أرسطو الذي يعتبره بأنّه «تقديم مجموعة من القضايا و الأحكام العمليّة العامّة المتعلّقة بمجموعة المحاميل الخطابية السداسيّة»[2]. و في البلاغة اليونانيّة القديمة يطلق عليه اسم مخازن الحجج " magasin des arguments".إلّا أنّ مصطلح المواضع هو المصطلح الشائع عند أغلب الباحثين.

المقام:situation

حضي المقام باهتمام كبير في التصوّر البرلماني باعتباره البؤرة التي تلتقي فيها جميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية و حقائق فعلية و قرائن بلاغية و قيم بشتى أقسامها و علاقة هذه القيم بمراتب الكائنات و الأشخاص المعنيين بخطاب ما، و ذلك بوصف هذه العناصر المذكورة أسسا حجاجية لابدّ من طرحها بصيغ مختلفة في "المقام" نظرا إلى أنّ المخاطبين يشتركون في الإقرار بأبرز معالمها، و إن ظلّ ذلك الإقرار متباينا بحسب طبيعة الشخص و تكوينه[3].

[1]-رشيد الراضي، الحجاج و البرهان، المرجع السابق، ج1، ص190.
[2]-حمّو النقاري، ألمرجع السابق، ج3، ص16.
[3]-محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع السابق، ص209.

فبهذا يقدّم بيرلمان تصوّرين أساسيين للمقام، فهو تارة يعتبره الإطار المحدّد للخطاب المستوعب لكلّ محتويات العملية الإبداعية و لكلّ المشاركين فيها، و تارة ثانية يعتبره تلك المقدّمات ذات النظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج و ترتيب القيم[1].

تعتبر نظرية بيرلمان نظرية مقامية بالدرجة الأولى تدعو إلى ضرورة مراعاة العلاقات الحتمية بين المقام و المخاطبين و السامعين المشاركين في خطاب ما، و أثر ذلك في العمليّة التواصلية.

الروابط الحجاجية: connecteurs argumentatifs

إنّ الرابط الحجاجي هو وحدة لغويّة تصل بين ملفوظين أو أكثر تمّ سوقهما ضمن نفس الإستراتيجية الحجاجية[2]، أي أنّها تستند لكلّ قول دورا محدّدا داخل الإستراتيجية الحجاجية، فدور الروابط الحجاجية هو الربط الحجاجي بين قضيتين و ترتيب درجتها بوصفها حجج في الخطاب[...] و هذه الروابط هي ما يسمّيه المناطقة اللّفظ-الأداة« وهو لفظ لا يدلّ بحدّ ذاته على أيّ معنى، و إنّما من طبيعته أن يربط فقط الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها، و هو لا يصلح موضوعا و لا محمولا في القضايا المنطقيّة»[3]. و من هذه الروابط: بل، لكن، حتّى، لاسيما، إذن، لأنّ، بما أنّ، إذ...الخ.

العوامل الحجاجية:opérateurs argumentatifs

إنّ العامل الحجاجي هو وحدة لغويّة، إذا تمّ إعمالها في ملفوظ معيّن، فإنّ ذلك يؤدّي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ[4].

ينصّ هذا التعريف على أنّ التحويل الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي(الملفوظ)الذي يرد فيه لا يكون مستمدّا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل

[1]-المرجع نفسه، ص212.
[2]-رشيد الراضي، الحجاجيات اللّسانية و المنهجية البنوية، المرجع السابق، ج2، ص100.
[3]-عبد الهادي بن ظافرا لشهري، آليات الحجاج و أدواته، المرجع السابق، ج1، ص102.
[4]-رشيد الراضي، المرجع السابق، ص98.

وإنّما من مجرّد وظيفته التحويلية الحجاجية الخالصة، فوضع العامل الحجاجي هو أشبه بعامل النفي المنطقي، كما تمّ تعريفه في المنطقيات الرياضية المعاصرة، إذ تتمثّل وظيفة هذا الأخير أيضا في التحويل الصدقي للقضية، إن كانت صادقة تصير كاذبة و إن كانت كاذبة تصير صادقة[1].

العوامل الحجاجية لا تربط بين المتغيّرات الحجاجية أي بين حجّة و نتيجة أو بين مجموع حجج كما هو الحال عند الروابط الحجاجية، و لكنّها تقوم بحصر و تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، و تضمّ العوامل أدوات من قبيل: ربّما، تقريبا، كاد، قليلا ، كثيرا، ما...إلّا...وجلّ أدوات القصر[2].

حجّة السلطة: argument d'autorité

هذا النوع من الحجاج يرتكز إلى سلطة بعض الأطروحات أو الشخصيات السابقة في تاريخ الفلسفة و التي لها وزن، لكنّه حجاج غير مستحبّ من قبل الفلاسفة «إنّه يمثّل تعبيرا قصيرا [....] مفروضا على طريقتنا في التصديق، و ذلك لأنّه يعود إلى الماضي البعيد أو ينحدر من المجهول»[3].

يقوم واضع الحجاج باستغلال نصوص أو أقوال للاستشهاد مأخوذة من كتب لمختصّين ذوي شهرة أو صيت كبير، أو ذوي السلطة المعرفية المشهور بها ، إنّه يلجأ إذن إلى سلطة علمية أو أخلاقية أو دينية أو ما إلى ذلك[4]، كما يعتمد في حجاج السلطة على الاستشهاد بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و بالأمثال السائرة، و سميت كذلك لأنّها تؤول إلى سلطة المتكلّم و نفوذه.

[1]-المرجع السابق.
[2]-أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللّغة، المرجع السابق، ج1، ص63.64.
[3]-حميد أعبيدة، الحجاج في الفلسفة و في تدريسها، المرجع السابق، ج3، ص103.
[4]-المرجع نفسه، ص87.

المثال أو حجة المماثلة: exemple

يعتبر المثال الركيزة الثانية التي أقام عليها أرسطو تعريف العقل و قد ميّز بين ضربين من ضروب المثال:

1-المثال الواقعي" exemple réalement":مستمدّ من الماضي.

2-المثال الخيالي"exemple imaginaire":الذي يضعه الخطيب مثل الحكايات والقصص و الأمثال[1].

و المثال مرادف لمصطلح "الشاهد"، و الشواهد و الاستشهادات يدعوها أرسطو "الحجج الجاهزة"، و يدخل في نطاقها القوانين و الشهود و الاعترافات و الأمثال و الأبيات الشعرية و الآيات القرآنية و أقوال الحكماء...الخ.

الاستشهاد:citation

غاية الاستشهاد من اعتماده حجاجيا هو توضيح القاعدة و تكثيف حضور الأفكار في الذهن، و ربّما كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجرّدة إلى أخرى محسوسة، و لعلّ القرآن الكريم فيما يقدّم لنا من أمثلة حجاجية أهمّ مصدر لهذه الأشكال الحجاجية على أنّ العناية بالاستشهاد القائم على التمثيل مقيّد بمجموعة من القيود لعلّ أهمّها، عدم إطنابه، و من الحجج المعتمدة أيضا المعطيات العددية الناتجة عن الإحصاء[2].

و هنا يختلف الاستشهاد عن المثل، و هذا الاختلاف يكمن في الغاية من اعتماد كلّ منهما، فالأوّل غايته توضيح القاعدة و تقوية درجة التصديق بها، أمّا الثانية فغايته تأسيس القاعدة و البرهنة على صحّتها.

التوجيه الحجاجي: l'orientation argumentatif

يوضح مفهوم التوجيه الحجاجي بشكل بارز العلاقة الوثيقة التي يعقدها النص الحجاجي مع القارئ أو المستمع، فالنص الحجاجي يرسم للملتقى مسالك فك الشفرة، و يوجه أثناء عملية

[1]-محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوّره في البلاغة العاصرة، المرجع السابق، ج2، ص242.
[2]-نعمان عبد الحميد بوقرة، القيمة الحجاجية في النص الإشهاري، المرجع السابق، ص282.

التأويل، و البحث عن معنى، لكن هذا لا يعني أنّ الملتقي يقف إزاء الإستراتيجية التأويلية التي يقترحها النص موقفا سلبيا، بل إنّه يسمم بطريقة فعالة في بناء المعنى و اكتشاف الدلالة، يقول ديكرو و أنسكومبر،«يقوم المتكلم بالحجاج عندما يقدم ملفوظا(م1) أو عدّة ملفوظات بوصفها موجّهة لقبول ملفوظ آخر(م2) أو ملفوظات أخرى»[1].

فالتوجيه الحجاجي دور فعال في عملية التخاطب(أو العملية التأويلية)، و التوجيه هنا هو إيصال المخاطب (المتكلم) حجّته إلى غيره (أي إلى المتلقي).

و هذا النوع من الحجاج تدعمه النظرية اللسانية المعروفة باسم نظريات أفعال الكلام والتي ترد الأفعال إلى القصد و الفعل و هما عماد التوجيه.

التعارض:contradiction

إنّ حقل الحجاج لم يتميّز بعد عن البرهنة والموافقة، و هو ما يظهر بشكل صارح في التعارض الذي أسسّه باسكال"Pascal" المذكور في السطور الأولى من كتابه" فنّ الإقناع" "l'art de persuadé"، يقول:«لا أحد يجهل بأنّ هناك مدخلين تتلقي الروح من خلالهما الآراء، الفهم "l'entendement" و الإرادة "la volonté"، إنّ المدخل الطبيعي جدا هو مدخل الفهم، إذ لا يجب الخضوع إلّا للحقائق المبرهنة ، أمّا المدخل العادي جدا بالرغم من كونه ضد الطبيعة، فهو مدخل الإرادة ذلك أنّ كلّ ما له علاقة بالإنسان يتمّ الاعتماد فيه غالبا بالموافقة، و ليس عن طريق الحجة، إنّ هذه الطريقة منحطّة غير لائقة وغريبة فضلا عن أنّ الجميع يستنكرها»[2].

إنّ هذا التعارض بين الفهم و الإرادة، شأنه شأن التمييز الذي أقامه كانط (Kant)بين الإقناع "persuader" و الاقتناع " convaincre"، لا يترك مكانا للمحاجج،فهناك من جهة، فنّ البرهنة"l'art de démontrer" الذي يتخذ له الهندسة نموذجا

[1]-عبد العزيز لحويدق، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، المرجع السابق، ج3، ص349-350.
[2]- عبد العزيز لحويدق، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ج3، ص342.

و يقوم في جوهره على الاستدلال المنطقي، وهناك من جهة أخرى فنّ الإعجاب art d'agréer الذي تمّ تبخيسه بسرعة لأنّه غير عقلاني[1].

المضمرات: les implicites

يتجلى البعد الحجاجي للغة في اعتماد المتكلم على المضمر في الدفاع عن أطروحته ذلك«أنّ المحتويات المضمرة إقتضائية كانت أم مفهوميه، فإنّها تشترك في سمة رئيسية: هي أنّها ليست موضوع القول الحقيقي، في حين أنّ المحتويات الصريحة هي التي تشكل- في الغالب- الموضوع الأساس للرسالة». من الواضح من هذا النّص، أنّ الأصل في الدليل هو التوضيح بأجزائه جميعا، إلا أنه لاعتبارات تداولية يلجأ المتكلم إلى الإضمار ثقة منه بقدرة التسامح على الفهم اعتمادا على القرائن القوليّة و الحالية و امتلاك الكفاية الموسوعية اللازمة، إلاّ أنّ الإضمار ينقسم إلى قسمين، الإضمار المفهومي و الإضمار الإقتضائي[2].

الإضمار المفهومي: sous entendu

تحدد أوركيوني orcchionni الإضمار المفهومي بقولها،«إنّه جميع المعلومات القابلة للتمرير بواسطة ملفوظ معطي إلا أن تعيينها يبقي رهينا ببعض خصائص السياق التلفظّي»[...] فهو-أي الإضمار المفهومي- غير مدوّن في الملفوظ بشكل صريح[3]، و يطلق عليه البعض مصطلح "المفهوم" أو "القول المضمر" و هما في التراث خلاف المنطوق.

الإضمار الإقتضائي (le présupposé):

إذا كان الإضمار المفهومي غير مدون في الملفوظ فإن الإضمار الإقتضائي مدون، و لذلك فإنّه لن يقبل الإنكار و الإهمال ذلك أنّه «جميع المعلومات المستفادة من التلفّظ مباشرة بعض النظر عن طبيعة الإطار التلفظّي الذي وردت فيه، و بالرغم من أنّها لم تأت بشكل صريح، و لا تشكل الموضوع الحقيقي للرسالة»[4]، فبما أنّ الإضمار الإقتضائي

[1]-المرجع نفسه.
[2]-الحسن بنعيو، استئناف القول في الطبيعة الحجاجية لمقال الفقهي على شرط أبي حامد الغزالي، ج3، ص351.
[3]-المرجع نفسه، ص351.
[4]-المرجع نفسه، ص352.

في التصوير الحجاجي لا يقبل الدحض و الإنكار و الإهمال فهو يمثل مستوى حجاجيا أقوى.

الإدعاء و الاعتراضrevendication et subjection

إن عملية الإدعاء و الاعتراض هي تأسيس للمطلوب كوجهة نظر باعتبارها معاني حجاجية غالبا ما يشك أو يرتاب المستمع بالقبول بها، و بذلك فإنّ الحجاج بهذا المعنى كما ذهب فان إيمرين(Van Emerren) و غروتندورس(Grootendorst) «هو السعي إلى إقناع المستمع(المخاطب) أو المعترض بقبول دعوى من الدعاوي باعتبارها وجهة نظر عبّر عنها المتكلّم العارض»[1]

فعملية الاحتجاج أو التحاجج تستدعي وجود الإدّعاء و الاعتراض لأنّ بهما يتمّ الدفاع أو دحض أطروحة من الأطروحات , الاعتراض على القضايا التي قدّمها العارض بقصد إقناع المعترض أو الدفاع عن الاعتراض الذي قدمه المعترض بقصد الوصول إلى صدق أو كذب القضايا المطروحة للنقاش»[2].

المغالطات:fallcies

تعرف المغالطة(fallacy,paralagisme, sophisme)، بأنها استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو و كأنه صحيح، لأنه مقنع سيكولوجيا، لا منطقيا على الرغم مما به من غلط مقصود، و ذلك لاختفاء هذا الغلط وراء الغموض اللّغوي و الإثارة العاطفية، أو بعدم الانتباه إلى ما به من مخالفة للقواعد المنطقية، و ذلك لا يظهر فساده أو عدم صحته إلا بالفحص الدقيق والمغالطة في الأصل تعني الخداع الذي اشتهر به السفسطائيون، و أخذت الكلمة الفرنسية"sophisme" من الكلمات اليونانية التي رسمها اللاتيني " sophisticis" أو "sophos , sophistica "والتي أطلقت على السفسطائيين و تعاليمهم، أما الكلمة الانجليزية "fallacies" بمعنى المغالطات، فهي مشتقة من الفعل اللاتينيfallere بمعنى

[1]-عليوي أبا سعد، التواصل و الحجاج في التداوليات الحجاجية للحوار(التفكير) النقدي، المرجع السابق، ج2، ص282.
[2]-المرجع نفسه، ص282.

يغش أو يخدع، و يسمى كاهان (Khane)«مغالطة الحجة التي لا يمكن أن تقنع إنسانا عقلانيا بقبول نتيجتها[1].

المغالطات جاءت من الغلط و التغليط اللذان يمثلان الإدعاء و الاعتراض في تفاعل[...] إن المطارد في تفاعل الادعاء و الاعتراض هو أن يزيغ أحدهما أو يزيغا معا عن منحاه الايجابي فيؤتى الحجاج من حيث لا يكون مشروعا، إذ لا تصدق المقدمات أو لا يسلم التدليل[2].

يمكن القول أن شخصا ما يستدل على نحو مغلوط عندما يقتنع بحجة مغلوطة ، ويحاجج على نحو مغلوط عندما يستعمل حجّة مغلوطة في محاولة إقناع غيره، و كلّ من يحاجج أو يستدلّ على نحو هذا يقال أنّه يقترف مغالطة.

نجد محمّد العمري يميّز بين الغلط و المغالطة بقوله:«المغالطة درجات بين الخفاء و الانكشاف منهما ما يلتبس الأقيسة المنطقية لا يتوصّل إلى كشف زيفه إلّا بالنّظر السديد العميق، و منه ما هو فجّ ظاهر العطب يقوم على الاستخفاف بالمتلقي و هو أقرب إلى الإعنات....»[3].

نظرا إلى مكانة المغالطات في الحجاج فقد اهتمّ الكثير من الباحثين العرب منهم والغرب، و قد وضعت للمغالطات الكثير من التعريفات قديما و حديثا.

الحجاج الإقناعي و الاقتناعي: argumentation persuasif et argumentation convaincante

لكي يحدّد حقل من حقولا المعرفيّة (اللسانيّة، التاريخية، الأدبية...) دراسة في مبحث الحجاج يقوم بالتمييز بين مستويين حجاجيين أوّلهما الحجاج الإقناعي و ثانيهما هو الحجاج الاقتناعي، الأوّل هدفه إقناع الجمهور الخاصّ، حيث لا يتحقّق الإقناع إلّا بمخاطبة الخيال و العاطفة، و من ثمّة فهو يضيف هامش فرصة العقل و حرية الاختيار، في حين

[1]-حافظ إسماعيلي علوي، محمّد أسيداه، اللّسانيات و الحجاج، الحجاج المغالط، نحو مقاربة لسانية وظيفية، المرجع السابق، ج3، ص272،
[2]-عبد السلام إسماعيلي علوي، الحجاج و القانون، المرجع السابق، ج3، ص305.
[3]-المرجع نفسه، ص273.

أنّ الاقتناع الذي هو هدف الحجاج يقوم على الحريّة و العقلنة و بالتالي:«فإنّ الحجاج غير ملزم وغير اعتباطي هو وحده القيم بأن يحقّق الحركة الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار العاقل...»[1].

من هنا نستخلص أنّ الحجاج الإقناعي و الحجاج الاقتناعي هو التأثير في الجمهور أو المستمع، إلّا أنّ الأوّل «يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص، و الثاني يرمي إلى أن يسلّم به كلّ ذي عقل»[2].

[1]-محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوّره في البلاغة المعاصرة، المرجع السابق، ج2، ص188.
[2]-أحمد كروم، أدوار الاقتضاء و أغراضه الحجاجية في بناء الخطاب، المرجع السابق، ج1، ص170.

خاتمة

لقد تطرّقنا في بحثنا هذا إلى دراسة نظرية الحجاج المندرجة في البلاغة العامّة في الفكر العربي و الغربي فتوصّلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمّها

-للحجاج سمة بارزة في الملفوظات اللّغوية و النصوص و الخطابات سواء أكانت مكتوبة أو شفوية بطريقة واضحة أو مضمرة .

-اللّغة تحمل بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية.

-الحجاج يهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي: التأثير، الإقناع، الحوار، و لا يكن الحديث عن الحجاج إلاّ إذا استحضرنا مجموعة من العناصر البارزة مثل: طرفي التواصل الأساسيين: المتكلّم و السامع، و النوايا و المقاصد و الموضوع و القواسم المشتركة والتمثّلات المتشابهة سواء أكانت ثقافية أم لغوية أم اجتماعية، إلى جانب السياق التلفظي بما فيه الزمان و المكان و الثقافة.

-إنّ النضج الذي عرفته المجلات المعرفية المختلفة من منطق و لسانيات و علم النفس والبلاغة جعلت من الدراسات الحجاجية تحظى بأهميّة كبرى، و هذا الاهتمام نابع من استلهام الموروث البلاغي الفلسفي و إحياء التراث اليوناني عند الغرب و إحياء التراث البلاغي و الكلامي العربيين.

-أرسطو هو منبع كلّ الدراسات التي جاءت بعده.

-للبلاغة أثر كبير في تكوين بنية الحجاج.

-إنّ دراسة البعد الحجاجي في خطاب ما يستدعي تأكيد أنّ ليس الحجاج نمط من أنماط الخطاب المتعدّدة، بل هو ركن متضمّن في الخطاب ذاته.

-النظرية الحجاجية لها صلة مع الكثير من العلوم، علم الاجتماع، التاريخ، الفلسفة، علم النفس...الخ.

-ظهر الحجاج في التراث البلاغي العربي مرادفا للجدل و استخدم كلّ من المصطلحين مترادفين في التراث العربي الإسلامي الذي يتوفر على مجموعة من الخصائص التي يتميّز بها الخطاب الحجاجي و ما يدلّ على ذلك، علم التفسير، علوم القرآن، وعلم الكلام التي تفاعلت مع المنتوج اليوناني في كلّ من الجدل و الخطابة.

كما تطرّقنا أيضا إلى في بحثنا هذا إلى تحليل بعض المصطلحات الحجاجية التي تعتبر بواعث و دوافع تشكّل الحجاج، و كان كتاب" الحجاج مفهومه و مجالاته" لحافظ إسماعيلي علوي منطلق هذه الدراسة فتوصّلنا إلى أنّ هناك من اللّغويين من يلجأ إلى توليد المصطلحات الحجاجية تارة بالوضع و الإحياء وتارة أخرى بالاقتباس و التعريب.

في الختام نرجو أن يكون قد و فّقنا في دراسة و تحليل هذا الموضوع، و أن يكون فيه من المحاسن ما يكفي لستر عيوبه، و أن نكون قد بلغنا به ما كنّا نبتغي بما توصّلنا إليه من نتائج و ما توفيقنا إلاّ بالله و به نستعين.

فهرس المصطلحات

Argumentation	الحجاج
Argumentation convaincante	الحجاج الاقتناعي
Argument d autorité	حجّة السلطة
Argumentation persuasif	الحجاج الإقناعي
Citation	الاستشهاد
Contradiction	التعارض
Connecteurs argumentatifs	الروابط الحجاجية
Démonstration	البرهنة
Echelle argumentatif	السلم الحجاجي
Exemple	حجة المماثلة
Faits	الوقائع
Fallcies	المغالطات
Implicites	المضمرات
Inférence	البرهان
Lieux spéciaux	المواضع الخاصة
Loi d utilité	القانون الأنفع
Manipulation	التطويع
Métaphore argumentatif	الاستعارة الحجاجية
Modèles d expression	الموجهات التعبيرية
Orientation argumentatif	التوجيه الحجاجي
Operateurs argumentatifs	العوامل الحجاجية
Permisses	المقدّمات
Principes argumentatifs	المبادئ الحجاجية
Présupposition	الاقتضاء

Présupposé	الإضمار الإقتضائي
Présomption	الافتراضات
Raisonnement	الاستدلال
Réalité	الحقائق
Situation	المقام
Valeurs	القيم
Vraisemblable	المبادئ الشبيهة

قائمة المصادر و المراجع

أ-المصادر:

-القرآن الكريم.

-أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح:محمّد علي البجاوي و محمّد أبو الفضل ، منشورات المكتبة العصرية بيروت.

-الشريف علي ابن محمّد بن علي الجرجاني حنفي، التعريفات، تح:محمّد علي أبو عباس ، مكتبة القرآن، القاهرة ـ مصر ،2003م.

-عثمان ابن جنّي، الخصائص، ج2، تح:محمّد علي النجار، دار الهدى، بيروت.

ب-المراجع:

-ابراهيم أنيس، من أسرار اللّغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1994م.

-ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، تقديم و تحقيق حنفي محمّد شرف، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط1، 1957م.

-ابن الجوزي، صحيح البخاري مع كشف المشكل، دار الحديث، القاهرة، 2008.

-أبو بكر العزاوي، اللّغة و الحجاج، العمدة في الطبع منتديات الأزبكية، ط1، 2006.

-أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة الجنّة للتأليف و الترجمة و النشر، ط5، 1964م.

-أحمد الأخضر غزال، المنهجية العامّة للتعريب المواكب، معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب، الرباط، 1977.

-أحمد قدور، اللّسانيات و آفاق الدرس اللّغوي، دار الفكر، دمشق، 2001م.

-أعضاء شبكة العلوم الصحيّة، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحيّة و الطبيّة، المكتبة الإقليمية للشرق المتوسط، المملكة المغربية، 2005م.

-إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربية و خصائصها، ط2، دار العلم للملايين،1986م.

ـإيناس كمال الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء المصطلح الحديث، ط1، دار الوفاء، 2006م.

ـحافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه و مجلاته، دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة،

ـالزاوي بغورة، الفلسفة و اللّغة و النقد، المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة ، بيروت، ط1، 2005.

ـسعيد الأفغاني، أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987.

ـسمير شريف استيتيه، اللّسانيات، المجال و الوظيفة و المنهج، عالم الكتب الحديث، إربد ، 2008م.

ـالسيوطي، المزهر في علوم اللّغة و أنواعها، ج2، تح:فؤاد علي منصور، عالم الكتب، دار الكتب العلميّةـلبنان، 1998م.

ـعبد السلام المسدّي، المصطلح النقدي، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر و التوزيع ، تونس، 1994.

ـعبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي ، ط1،لبنان، 2001.

ـعلي وافي عبد الواحد، فقه اللّغة، ط1، نهضة مصر، 1997م.

ـعمّار ساسي، اللّسان العربي و قضايا العصر رؤية علميّة في الفهم–المنهج–الخصائص–التعليم–التحليل، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007م.

ـطه عبد الرحمن، اللّسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1998م.

ـفريق البحث في البلاغة و الحجاج، أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، سلسلة آداب، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية ، تونس.

ـمحمد أحمد العمايرة، بحوث في اللّغة و التربية، دار وائل للنشر، الأردن، 2008م.

ـمحمد حسن عبد العزيز، سوسير رائد علم اللّغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة.

ـمحمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامّة لترجمة المصطلحات و توحيدها و تنميطها، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1986.

ـمحمّد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللّسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005م.

ـمحمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري و تطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، المغرب ـلبنان، ط2، 2002م.

ـمحمود فهمي حجازي، الأسس اللّغوية لعلم المصطلح دار غريب للطباعة و النشر ، 1995م.

ـمحمود المصفار، سميائية القرآن بين الحجاج و الإعجاز، وحدة تحليل الخطاب، نشر وتوزيع شركة المني صفاقس، تونس، 2008.

ـنازل معوض أحمد، التعريب و القومية، بيروت، 1996.

ج ـمجلّات و حوليات:

ـعالم الفكر، م20/ع3، 2002.

ـاللّسان العربي، ع23، المنظّمة العربية للترجمة و الثقافة و العلوم، مكتب تنسيق التعريب ، تونس.

ـاللّسانيات، مركز البحوث العلمية و التقنية للعلوم العربية، 2003م.

ـاللّغة العربية، المجلس الأعلى للّغة العربية، الجزائر، 2001م.

ـالمجمع الجزائري للّغة العربية، ع1، 2005م.

د ـالرسائل الجامعية:

ـبودرهم مريم، إشكالية المصطلح اللّساني في الكتابات العربية الحديثة، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

ـحسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009-2010م.

ـرشيد عزّي، إشكالية المصطلح في المؤلّفات العربية تحليل الخطاب نموذجا، دراسة تحليلية نقدية، المركز الجامعي بالبويرة، 2008م.

ـهاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه و خصائصه، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين ، جامعة ورقلة، 2003م.

هـ-موقع الأنترنت:

ـزهير خويلدي فنّ المغالطات و الحجج الباطلة.

ـالحجاج و استراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن.

و-المعاجم:

ـابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان اللّسان، تهذيب لسان العرب،ج2 ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1993م.

ـابراهيم مصطفي، أحمد حسين الزيات، حامد عبد القادر، محمّد علي النجار، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية، ط2.

ـالفراهيدي بن أحمد، كتاب العين، تح:مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، ج3، ط1 ، مؤسسة الإعلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

ـعبد المجيد سالي و نور الدين خالد، معجم مصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري ، القاهرة.

ـالمسدّي عبد السلام، قاموس اللّسانيات(عربي-فرنسي، فرنسي-عربي)مع مقدّمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، 1984م.

ي-المراجع باللّغة الأجنبية:

1 CHAIM PERELMAN ET LUCIE OLBRECHTS TYTECA traite de l argumentation, la nouvelle rhétorique, presses universitaire de France paris 1958.

2 CHAIM PERELMAN , l'empire rhétorique, rhétorique et l argumentation,2EME édition, augmenter d un index, paris .

فهرس الموضوعات

مقدّمة

الفصل الأوّل:قضايا المصطلح في اللّغة العربية

أوّلا: تعريف المصطلح و سماته

تمهيد..... 1

1-1-لغة..... 2

1-2-اصطلاحا.....2-3

1-3-سماته.....3-6

ثانيا:شروط و طرق وضع المصطلح

2-1-الشروط.....7-9

2-2-طرق وضع المصطلح.....10

2-2-1-الاشتقاق 10-12

2-2-2-التعريب.....13-15

2-2-3-المجاز.....16-17

2-2-4-الترجمة 18-21

2-2-5-النحت و التركيب.....22-23

ثالثا: المصطلح اللّساني و وضعيته.....24

3-1-تعريف المصطلح اللّساني.....25

3-2-مشكلاته.....26-27

3-3-وضعيته.....28-30

الفصل الثاني: المسار التاريخي للحجاج

-نبذة تاريخية.....32-33

1-تعريف الحجاج لغة:.....34-35

2-المسار التاريخي للحجاج عند العرب قديما

2-1-الحجاج في القرآن الكريم.....36-37

2-2-الحجاج في الحديث النبوي الشريف.....37

2-3- الحجاج في البلاغة العربية القديمة.....37-41

3-المسار التاريخي للحجاج عند الغرب قديما

3-1-الحجاج عند السفسطائيين.....42-44

3-2-الحجاج عند أرسطو.....45-48

4-المسار التاريخي للحجاج عند العرب حديثا

4-1-الحجاج عند طه عبد الرحمن.....49-51

4-2-الحجاج أبو بكر العزاوي.....52

4-3-الحجاج عند أبو بكر العزاوي.....53-55

5-المسار التاريخي للحجاج عند الغرب حديثا

5-1-الحجاج عند بيرلمان و تيتيكاه.....56-61

5-2-الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر.....62-65

5-3-الحجاج عند ميشال مايير.....66-67

الفصل الثالث: دراسة تحليلية للمصطلحات الحجاجية

-الحجاج.....69

_الاقتضاء.....69-70

_التطويع.....70

_الاستدلال.....71

_البرهنة.....72

_البرهان.....72

_الاستعارة الحجاجية.....73
_المبادئ الحجاجية.....73
الموجهات التعبيرية.....74
المبادئ الشبيهة.....74
القانون الأنفع.....75
السلم الحجاجي.....76-77
المقدمات.....77
الوقائع.....78
الحقائق.....78
الافتراضات.....78
القيم.....79
المواضع الخاصة.....80
المقام.....80
الروابط الحجاجية.....81
العوامل الحجاجية.....81
حجة السلطة.....82
المثال أو حجة المماثلة.....83
الاستشهاد.....83
التوجيه الحجاجي.....83-84
التعارض.....84
المضمرات.....85
الإضمار المفهومي.....85

الإضمار الإقتضائي.....85

الإدعاء و الاعتراض.....86

المغالطات.....86

الحجاج الإقناعي و الاقتناعي.....87-88

خاتمة.....89-90

فهرس المصطلحات

قائمة المصادر و المراجع

فهرس الموضوعات